علي فهمي خشيم

قِراءات ليبيّة

الناشر

دار مكتبة الفكر

طرابلس - ليبيا

((من ليبيا يأتي دائما شيء جديد !))
أرسطو ((تاريخ الحيوان))

«Aei Pépei Ti Aibùm **Kalvôu !»**
«Libya always brings something new!»
Aristotle, Historia Animalum,
8, 28, 11.

الإهداء

إلى ذكرى عبد السلام دنف المسلاتي

وفاء لأحلام طالما راودتنا معاً .

كلمة تقديم

لقد ظلت ليبيـا عصوراً متطاولة لا تكاد تعرف على خارطة العالم ـ وهي منـــه في القلب ـ وتظافرت أسباب وعوامل لتجهلها الدنيا في العصر الحديث ، وقد آن لها أن تحتل مكانتها الكريمة في هذا الوجود . وكان المواطن الفرد لا يكاد يدرك من أمر بلاده شيئاً ، وكان له عذره وتعلته ، فوجب الآن أن يعرف ويعلم ، حتى يزداد بأرضه تعلقاً وبوطنه قربى وببلاده صلة فوق صلة .

فإذا قلنا « قراءات ليبية » فلا نعني بهذا تلك الاقليمية الضيقة المتقوقعة ، أو ذاك الانفصال المخرب المدمر المقيت ، بـل نقصد تسليط الأضواء على جوانب ربما خفيت عن الكثيرين ، وحان وقت تعرف فيه وتعلن. ذلك لأن معنى الليبية هو معنى العربية الإسلاميــة . فإذا قلت « ليبيا »

كان المفهوم هو العروبة والإسلام في هذه القطعة الغالية من عالمنا الواسع الرحيب. ولا تعارض على الإطلاق بين دراسة قطر من الأقطار على حدة وبين دراسة الأقطار ككل متكامل.

ولنقل بعد هذا إن ليبيا عضو في جسم، أفلا ينبغي أن يدرس هذا العضو؟ أم ترانا ننبذ الأمر وننفض أيدينا منه اكتفاءاً بدراسة الجسم كله؟

فإذا رأينا بعد هذا أن بقية أعضاء الجسم قد درست، ولا تزال تدرس، علمنا أن لنا الحق كل الحق في الاهتمام بما هو أشد اتصالاً بنا وأوثق ارتباطاً على المدى القريب والبعيد.

ليست هذه الأحاديث تاريخاً متسلسلاً، أو بحثاً أكاديمياً خالصاً، بل هي في واقع الأمر لقطات من هنا وهناك، لا ترتبط بعصر أو تختص بزمن، وما يجمعها هي صفتها التي أطلقت عليها في عنوانها ذاك.

الليبيون يستكشفون أفريقيا

أفريقيا هي القارة التي تربطنا بها وبأهلها أوثق العلاقات ، وكيف لا ونحن جزء منها بل في القلب من شمالها ؟.. علاقات دم ودين ولغة وجوار وأهداف واحدة.

ولم تكن هذه العلاقة حديثة العهد بل هي أقدم من كلمة «ليبيا» اسما أطلقوه على قارة أفريقيا كلها !

وكان القرامنت ـ وهم أهل امبراطورية عظيمة في فزان حتى العصر الروماني ـ على اتصال دائم بافريقيا الوسطى ، وما يسمى السودان والنيجر ونيجيريا والسنغال وغينيا ، حتى غانا وخليجها . وكانت لهم صلات صيد وتجارة وتعاون مثمر مع أهل هذه الاقطار .

ولقد أورد هيرودوت ـ أبو التاريخ ـ رواية عن رغبة الليبيين القدماء في التعرف على داخل افريقيا ، فكانوا بهذا رواد المستكشفين والسابقين الى عالم الاستكشاف . قال هيرودوت ما معناه : ان أهل قورينا (شحات) زاروا

معبد «آمون» في سيوة ، حيث تجاذبوا أطراف الحديث مع ايتارخوس ملك الليبيين هناك ، فأنبأهم ، في أثناء الحديث عن منابع النيل ، بخبر فتية من قبيلة النسامونيس الليبية • كانوا خمسة فتيان من أبناء زعماء القبيلة التي كانت تعيش حول خليج سرت ، تاقت نفوسهم الشابة الى مغامرة يبلغون فيها أقصى ما عرفه الرحالة من الصحراء• فأعدوا عدتهم وتزودوا بالمؤونة والماء، ثم انطلقوا عبر البلاد العامرة بالسكان • فلما تجاوزوها بلغوا أرض الوحوش الكاسرة ، فعبروها هي الأخرى ومضوا غربا يضربون في الصحراء وظلوا أياما في هذه الصحراء حتى بلغوا بعدها سهلا ذا شجر نام ، وكانوا جوعى فبدأوا يقطفون من ثمارها ليأكلوا • وما لبثوا حتى خرج عليهم رجال أقزام قصار القامة قادوهم — دون أن يعرف أحد الفريقين لغة الآخر — وسط مستنقعات واسعة • فلما تجاوزوها وصلوا مدينة هؤلاء الاقزام، وكان أهل المدينة جميعا من الزنوج•

قال هيرودوت : وكان هناك نهر ، عظيم يشق المدينة من الغرب في اتجاه مطلع الشمس وكانت التماسيح تسبح فيه •

هذا ما رواه أبو التاريخ عن مغامرة الشبان الخمسة من قبيلة النسامونيس الليبية • ثم استخلص من ذلك أن النهر الذي كان يشق المدينة هو نهر النيل ، وبنى على

هذا الاساس نظريته في أن النيل ينبع من ليبيا ، وهي نظرية أبطلها ايراتوشنيس القوريني وأرسطو فيما بعد .

وعلى هذا فان النهر الذي بلغه الشبان الليبيون المغامرون لم يكن نهر النيل كما ظن هيرودوت ، وانما كان نهر النيجر لا سواه .

لم يكن شغف الليبيين بكشف افريقيا يعرف حدا ، ولم يكن أبناء النسامونيس وحدهم الذين غامروا ، فان هناك غيرهم من اخوانهم فعل . ذلك هو الفرعون «بساماتيكوس» ومن ذريته الفرعون «نخاو» الثاني الشهير .

أول دورة في التاريخ حول القارة

رويت فيما مضى مغامرة الفتية من قبيلة النسامونيس لاكتشاف أفريقيا التي ذكرها هيرودوت • ثم نحن نجد حديثا آخر يرويه «اوكيان الساموراتي» في كتابه (المحاورات) عن القرامنت ، أهل فزان ، الذين كانوا يستعدون كل عام لرحلة الشتاء جنوبا • ينتظرون حتى ينزل المطر فيخف لهيب الصحراء ، ثم يندفعون جنوبا وقد أخذوا أهبتهم لرحلة طويلة ، يتعقبون حيوانات أواسط أفريقيا من الفيلة والنعام وأشباهها ، ويتاجرون مع أهل البلاد فاذا ما انقطع المطر وجاء الحر قفلوا الى بلادهم ومعهم صيدهم الوفير وربحهم العظيم • وقد استمر القرامنت واسطة تجارية بين أفريقيا الوسطى وبلاد البحر الابيض المتوسط حتى عهد الرومان حين كانوا ينقلون الحجارة الكريمة والذهب ويأخذون بدلا منها ما يحتاجون اليه •

واذا كان هذا الخبر في عصور حديثة نسبيا ، وكان يقوم به أفراد الشعب والقبيلة ، فان لنا أن نشير الى غرام

ملوك الليبيين وأمرائهم بالكشف والريادة • ونجد في هذا المقام علمين : أولهما هو «بساما تيكوس» الفرعون الليبي مؤسس الاسرة السادسة والعشرين في مصر ، وثانيهما هو «نخاو» الثاني حفيد بساماتيكوس الذي ملك مصر من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٠٧ ق•م•

وعن بساماتيكوس يحدثنا الكاتب اليوناني المعروف «آثيناوس» في كتابة (مائدة الفلاسفة) أن هـذا الفرعون الليبي المصري درب جماعة من عبيده على الصبر على العطش تدريبا قاسيا طويلا، ثـم أرسل بهم الى الصحراء الليبية ليكشفوها له، ففعلوا ذلك• وبعد مدة عاد بعضهم خاوي الوفاض ، بعد أن ترك زملاءه تحت الرمال . ولم يفت هذا الفشل في عضد بساماتيكوس فدرب مجموعة أخرى وأعدها لاكتشاف منابع النيل الذي كان الاعتقاد السائد أنه ينبع من ليبيا •• لكن قضى قبل القيام بهذه المغامرة •

لكن حفيده نخاو الثاني كان شديد الحماسة للمغامرة. فما أن ارتقى العرش عام ٦١٠ ق•م حتى أعد سفينة وزودها بمهرة الملاحين من أهل فينيقيا ، ثم أرسلها لتدور حـول أفريقيا مبتدئة من البحر الاحمر حتى تعود عن طريق جبل طارق •

وقد أدت هذه السفينة مهمتها على أكمل وجه، وأتمت أول دورة في التاريخ حول أفريقيا في مدة ثلاث سنوات

كاملة ، ووصلت بعد وفاة نخاو . وكان ربانها قد سبق رحالة أوروبا وسجل نصره التاريخي العظيم ، وعندما روى البحارة ما شاهدوه من العجائب وأنهم زرعوا وحصدوا في موسم غير موسم الزرع والحصاد كذبهم الناس وطووا ضمن أساطير الاولين .

يقول العالم جاردنر Gardiner في كتابه (مصر الفرعونية) : ان الفرعون الليبي نخاو لم يكتف بهذا العمل المجيد بل كان أول من عمل على حفر قناة تربط ما بين النيل والبحر الاحمر ، تمخرها سفنه واصلة بين البحرين الابيض والاحمر . ثم جاء «دارا» ملك فارس فأصلح القناة ووسعها وأنزل فيها ٢٤ سفينة من سفنه ذلك ما يقوله هيرودوت !

عن هسبير والمقرونة

للألحان الليبية والغناء الليبي نغم خاص ووقع معين، يميزه من بين ملايين الأنغام •

واذا ما سمع أحدنا لحناً ، مهما كانت بساطة الآلة التي تؤديه ، اهتز كيانه وسبح في نشوة فنية ينفعل فيها من الأعماق • ذلك لأن نغمة «المقرونة» تسري في الدم وتكون جزءاً هاماً من شعورنا الفني واحساسنا الموسيقي •

واذا كانت «المقرونة» حتى يومنا هذا تهز مشاعرنا وتثير انفعالاتنا فان لها الحق ان تفعل ، ذلك لان «المقرونة» التي تصنع اليوم من الغاب كانت هي رفيقة الاجداد ، وان كانت تصنع من شجر (اللوتس) الشهير •

كانت شجرة «اللوتس» توازي نبات السلفيوم ذيوع صيت في ليبيا القديمة ، وقد ورد ذكرها في «الأوديسة» لهوميروس ثم اشتهرت من بعده على طول الزمان • وكانت تسمى «شجرة السلوان» لان من يأكل ثمارها يسلو كل شيء الا الحياة قربها وتذوق ثمرها العسلي اللذيذ •

وقد اشتهرت النايات المصنوعة من «اللوتس» كأفخر نايات في العالم • فنجد «بليني الأكبر» في مؤلفه «التاريخ الطبيعي» يذكر من جملة مزايا اللوتس أنه يتخذ من أغصانه النايات المطربة العجيبة • ويؤيده في هذا القول «أثيناوس» في «مائدة الفلاسفة»، حين يقول ان أهل الاسكندرية يتخذون نايات مصنوعة من «اللوتس» وهو شجر ينمو في ليبيا • ويضيف «أثيناوس» الى هذا أن الشعراء كانوا يطلقون على الناى اسم «الليبي» لشهرة هذه البلاد بالنايات ، فأغنت الصفة عن الموصوف •

قال «أثيناوس» : وقد كان سيرتيس Seirites الليبي أول من اكتشف فن العزف على الناي ، وكان أول من أقام الشعائر الدينية لأم الارباب Cybele بمصاحبة الناي •

ولم تقتصر شهرة الناي الليبي على العالم القديم • فها نحن نجد شاعرا كبيرا هو «تنيسون» يذكره حين حديثه عن «هسبير» والد «الهسبيرديس» ـ سيدات الغرب اللاتي كان مقرهن جنائن «الليثي» في بنغازي •

يقول تنيسون ما ترجمته :

«هسبير ، يا هسبير ••
ارع التفاح الذهبي ،
في غابات الهسبريدس

واعزف على المزامير
قدت من شجر ليبي
أزهى اشجار اللوتس !»

المقرونة اذن ، أو الناي ، قديمة على هذه الارض الليبية . وهي اداة للموسيقى لا بد أن يصحبها غناء .

واذا كان أثيناوس يقرر أن سيرتيس الليبي أول من ظهر أولا في ليبيا . فان نساء تلك البلاد يغنين غناء مطربا شجيا !» .

« وفضلا عن ذلك فان الغناء الطقسي ، فيما أرجح ، ظهر أولا في ليبيا . فان نساء تلك البلاد يغنين غناء مطربا شجيا ! » .

وأحب أن أسأل : اذا كانت الموسيقى نشأت على هذه الارض ، وكانت نساؤها معروفات بحلاوة الصوت وشجي الغناء ، فما بالنا لا نسمعها هذه الايام ؟

لم يبق لنا سوى المقرونة ، وادعو الله ان لا تندثر !

رداء أثينا الليبي

أذكر يوما في أثناء الدراسة الثانوية أن طلبة مدرستي كانوا يقومون بزيارة لمدينة لبدة • وكنا وقوفا أمام أحد التماثيل الرومانية الضخمة وقد التف صاحب التمثال بعباءة طوق بها جسمه ، ثم انسدلت بقيتها على كتفه الأيسر • ووقفنا نسمع شرح المدرس الذي قال : «ان هذا هو اللباس الروماني القديم وأن الجرد (أوالحولي) الليبي منقول عنه» •

يومها شعرت بحنق ، فان لباسي القومي بدا مستعاراً مأخوذاً عن الآخرين ، وليس منى والي كما كنت أحسب• وقد رسخت هذه الفكرة في ذهني وأذهان الكثير من الناس حتى باتت قضية مسلمة •

الا أن الواقع يثبت غير هذا ويبرهن على عكسه • ذلك لأن اللباس الروماني منقول عن اللباس اليوناني القديم • وكان اليونان قد نقلوا العباءة أو الجرد عن الليبيين القدماء •

انني لست أنا الذي يلقي هذا القول حمية وغيرة ، لكن من يذكره هو العالم سمث كاج بيركت Smith Kaj. Birket في كتابه «ممرات الحضارة» Pathes of Culture الصادر عام ١٩٦٥ في الصفحة الثالثة والثمانين بعد المائة . وكان هيرودوت قد ذكر في «تاريخه» ان «ثوب ودرع أثينا قد نقلهما الاغريق عن النساء الليبيات.» وقال : «غير أن لباس النسوة الليبيات جلدي وعذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين بل هي مصنوعة من جلد الحيوان . وأما في ما عدا ذلك فان الثوب والدرع في الحالتين سواء» . ويستمر هيرودوت فيقول : «بل ان الاسم ذاته الذي يطلق على درع أثينا ينم عن أن كساء تماثيل هذه الربة جاء من ليبيا ، اذ ترتدي النساء الليبيات فوق ثيابهن جلود ماعز ذوات عذبات بعد نزع شعرها وتلوينها باللون الاحمر . وقد غير الاغريق الاسم الليبي لجلود الماعز هذه الى اسمها الاغريقي (ايجس Aegis وتعني الدرع)» .

ولم يذكر هيرودوت للأسف الاسم الليبي للدرع وان ذكر أنه ليبي الأصل . لقد كانت تماثيل «أثينا» تتألق بهذا الثوب الذي نقله اليونان عن الليبيات ، وهو عبارة عن ثوب طويل يلف الجسم ويضم الكتفيه تتمنطق المرأة ببقيته تلفه حول وسطها . ولننظر الى ما بقي من هذه التماثيل

المشهورة ونقارن بينها وبين رداء المرأة الليبية اليوم ..
ألا نجده هو هو لم يتبدل ؟

ولئن كانت المرأة الليبية قد تميزت بثوبها فقد تميز به الرجل أيضا حسبما يوضحه أوريك بتيس O. Bates في كتابه «الليبيون الشرقيون» وهـو يذكر أيضا ان الليبيين القدماء كانوا يضعون على صدورهم حزاما مـن الجلد متقاطعا على الكتفين اشتهروا به وعرفوا . ألا ترونه اليوم في ما نسميه «الحلاط» يتزين به البدوي الليبي ويخزن فيه ذخيرة سلاحه ؟!

اطلس الفيلسوف

«أطلنتس» و «أطلس» •• اسمان معروفان مشهوران•
أما أطلنتس فهي صاحبة تلك المدينة العظيمة التي قيل انها ازدهرت ونمت ثم انتهت بين يوم وليلة • واختلف الكتاب فيها وفي أخبارها بين الحقيقة والاسطورة • وكان أفلاطون يذكر أنها كانت في صحراء ليبيا ، وكذلك فعل ديودروس الصقلي وغيرهما من المفكرين والكتاب •

وأما أطلس فيقول هيرودوت انه اسم جبل في غرب ليبيا ، وأن أهله هـم الأطلسيون • ويحدد «باوسانياس» الأطلسيين بأنهم القرامنت القدماء في صحراء فزان • —

ولذا فان اسم «أطلس» ليس غريبا عن هذه البلاد على كل حال • على أن ما يهمنا الآن هو اسم أطلس الفيلسوف لا سواه • وقد اختصم الناس في الفلسفة وعلى يد مـن بدأت وتطورت .• قال فريق : ان اليونان هم أول مـن تكلم في الفلسفة وانها نبتت هكذا شيطانيا بينهم فهـم أربابها • وقال آخرون : بل سبق اليونان أمم أخرى شرقية

كانت لديها فلسفات وان اختلفت في الغاية عما عند اليونان.

ومن أهم من عرض لهذين الرأيين مؤرخ حياة الفلاسفة «أديوجين اللائرتي» في كتابه «حياة مشاهير الفلاسفة» .

وقد أورد ديوجين في الصفحة الاولى من الكتاب ما خلاصته : هناك رأي يقول بأن دراسة الفلسفة بدأت أول مرة عند غير اليونان ، فقد وجد حكماء من المجوس والكلدانيين في فارس والعراق ، والنساك في الهند وآسيا. ثم يضيف ديوجين قوله : «وهم يقولون أيضا ان المفكر موخورس Mochors كان فينيقيا وزيمولكيس Zemolxis كان تراقيا وأطلس Atlas كان ليبيا» . ترى من هو أطلس هذا الذي يعده ديوجين فيلسوفا ليبيا ؟ من هو ؟ متى عاش ؟ ما آثاره ؟

لا جواب للأسف الشديد .

ويمضي ديوجين في كلامه عن قدماء المصريين والفرس وفلاسفتهم ولا يعود للحديث عن فيلسوف ليبيا القديمة أطلس .

لكن هناك ملاحظة جديرة بالنظر ، ان ديوجين ينقل كثيرا عن كاليماخوس القوريني في «ألواحه» وعن ايراتوسثنيس القوريني أيضا في كتبه المتعددة . ونحن نعرف عن هذين المفكرين وعن أشعارهما وكتبهما اهتمامهما الشديد بما يدور حول ليبيا . فماذا يمنع من ان يكون

قد نقل عنهما حديث أطلس ، ولعله عندهما مفصل، ولم يهتم ديوجين وهو اليوناني الصرف بذكر ما جاء عنه ؟ • كذلك هو ينقل عن «سوتيون» Sotion السكندري ، وهذا كتب بين عامي ٢٠٠ و ١٧٠ ق•م• تاريخا للفلاسفة، فهو اذن قريب عهد بكاليماخوس وايراتوشنيس وكـان مواطنا من الاسكندرية التي سطعا فيها •

ترى هل يمكن أن يوجد حديث أطول عن فيلسوف ليبيا القديمة المغمور أطلس ؟

آمل أن يكون !

البجع الفنان

كانت ليبيا قديما تشتهر بأنواع عديدة من الحيوانات منها ما لا يزال يعيش حتى اليوم ، ومنها ما انقرض ولم يعد له وجود ، بسبب تغير المناخ والظروف الطبيعية . وقد كانت الصحراء الليبية منذ قرون، عامرة بغاباتها وأشجارها، ينزل فيها المطر الغزير ويزهر الزرع والنبات .

ولقد عدد هيرودوت بعض أصناف الحيوانات المفترسة والبرية في ليبيا القديمة ، فذكر منها التياتل البيضاء الكفل، والظباء ، وبقر الوحش ، والمها ، والثعالب ، والضباع ، والقنافذ ، والكباش البرية ، وأبناء آوى ، والنمور الرقطاء، وثلاثة أنواع مختلفة من الفئران الى جانب الأسود والفيلة والدببة والصلال والحمر القرناء .

وروى هيرودوت أن هناك نوعا من الحمر لا تشرب أبدا ، وأن من قرون المها تصنع جوانب القيثارة الفاخرة .

وعن الأفعوان الضخم يروي هيرودوت وأرسطو حكايات عجيبة عن ضخامته وطوله . ومن الأفاعي نوع –

كما يقول أرسطو ـ يعيش بين نبات السلفيوم لا يشفي نهشته الا حجر يؤتى به من قبر ملك قديم ينقع في الماء ويشرب منقوعه •

أما في الحديث عن الطيور الليبية القديمة فان أغرب طائرين هما نوع من الحبارى وضرب من البجع• وعن الحبارى يحدثنا «أثيناوس» فيقول : انها كانت تجلب الى الاسكندرية بأعداد هائلة ، وكانت طائراً مفلطح القدمين كالبط • ويحكي الصيادون أنها مولعة بتقليد كل ما يأتيه الانسان من عمل • فكان هؤلاء يعمدون الى نوعين من الدهان بأحدهما مادة لاصقة يضعونه في أوان صغيرة غير بعيد منهم ، ثم يتخذون مكانا قريبا من سرب الحبارى ، ويبدأون في مسح أجفانهم بالدهان الآخر • وما أن تراهم حتى تسرع هذه الى الأواني القريبة ذات الدهان اللاصق وتبدأ في تقليد ما يفعلون ، فتلصق أجفانها ويطبق الصيادون عليها دون عناء !

أما البجع فان الفيلسوف اليوناني المعروف أرسطو يروي خبره في كتابه «تاريخ الحيوان» Historia Animalum فيقول : انه يوجد في ليبيا نوع من البجع القوي الجميل الصوت ، وقد بلغ من قوته أن أسرابه كانت تقاوم النسور العظيمة وتقهرها رغم ضخامة النسور وجبروتها •

وقد اشتهر عن هذا البجع أمر عجيب • ذلك أنه

ما يكاد يشعر بدنو أجله حتى يشرع في الغناء ، يرسل لحنا حزينا يؤثر في النفوس . ويظل يحلق وهو يغني حتى يبلغ البحر فيلقي بنفسه فيه .

قال أرسطو : وقد شهد بعض البحارة هذا البجع على ساحل ليبيا وهو يغني ثم يسقط في البحر ميتاً .

لقد كان بجعا فنانا .. رحمه الله !

كينوب الخصيب

وادي كعام .. ومن لا يعرفه ؟ على الأقل بالنسبة لأصحاب السيارات والسائقين الذين يتوجسون خيفة كلما أمطرت السماء وجاء السيل الدافق ، فيقطع عليهم الطريق، ويجبرهم على الانتظار ساعات طويلة حتى يهدأ أو يخف ، فيستطيعون عند ذاك العبور .

لقد أصبح الآن مجرد واد يسيل في موسم الامطار، وهو جاف في أغلب الأحيان ، الا اذا كان العام عام مطر وخير . لكنه في الزمان القديم كان نهراً معروفاً مشهوراً، وكانت أرضه وتربته مضرب الأمثال ، وكان أسمه نهر «كينوب» .

وحين أشار هيرودوت الى خصب بعض المناطق الليبية مثل قورينا والجبل الأخضر والهسبيرتاي ـ بنغازي الآن وما حولها ـ خصت منطقة نهر كينوب بأنها نظيرة لأخصب مناطق انتاج القمح في العالم، وأنمحصولها يعادل محصول أرض بابل . وقد كانت بابل حول دجلة والفرات في العراق

شهيرة قديما بقمحها الوفير •

قال أبو التاريخ : ان التربة في هذه المنطقة سوداء خصيبة تغذيها الينابيع الكثيرة بالماء ، وتهطل الامطار على منطقة «تلال الحسان» ـ وهو يعني جبال ترهونة ـ فيجري الماء باستمرار ولا تخشى الجفاف •

ولقد حدث أن اليونان أنشأوا مدينة قورينا في الجبل الأخضر لخصب المنطقة وملاءمتها لهم ، فلما غضب «دوريوس الاسبرطي» من قومه لأنهم لم يتخذوه لهم ملكاً جهز حملة وقصد منطقة نهر كينوب ليؤسس فيها مدينة أسوة بما فعل أهل «ثيرا» في قورينا وهجراناً لقومه • غير أن القرطاجنيين اتحدوا مع الليبيين ضده وطردوه خشية على قرطاجنة أن يقترب اليونان من حدودها ويهددوا وجودها كله ، فعاد دوريوس أدراجه الى جزر البيلوبونيز من جديد ولم يحقق هدفه عند نهر كينوب الخصيب •

على ضفاف هذا النهر كانت تنمو المحاصيل الوفيرة التي كانت مثار دهشة العالم ومحط أنظاره • وكان الانتاج الهائل للمزرعة الليبية القديمة مبعثا لأن ينطلق الشعراء يلهجون بذكره• فهذا هو الشاعر الروماني «مارتيال» الذي عاش في القرنين الاول والثاني قبل الميلاد يقول في قصيدة له ، موجها الحديث الى أحد أصدقائه : «خذ ثلاث حفنات من مزرعة ليبية فتزدهر بها أرضك القاحلة »!

وكان يعيش حول كينوب أيضا نوع من الماعز الذي تميز بطول شعره ونعومته وجماله .. حتى لقد كانت تصنع منه أثواب فاخرة لعلية القوم ، يسمى «كلكيوم» Cilcium وكان مارتيال يشيد بها في شعره .

كينوب ، أوكعام ، أغنية خير وبركة قديمـة لها أن تتجدد على الايام !

جالب النصر

ذكــر هيرودوت الهسبيرتاي كقبيلــة والهسبيريدس كأرض ، وهو يعني من كان في بنغازي وما حولها • لكنــه لــم يذكر اليوهبيريدس المدينــة التي أنشأها اليونان حين توسعوا غربــا وأطلقوا عليها هذا الاسم الــذي يعني : «سيدات الغرب» أو «بنات الغرب» بسبب من الاعتقادات الاسطوريــة التي كانت تغلب على تسميات المدن عنــد اليونان •

لقد ظل اسم الهسبريدس معروفا حتى القرن الثالث، وبالضبط بعد عام ٢٤٦ ق•م• حين تبدل اسم هذه المدينة الى اسم «برنيكي» أو «برنيشي» كما ننطقه اليوم نقلا عن لسان الايطاليين • ولقد كان لهذا التبدل في اسم المدينــة قصة شهيرة تناقلتها الاجيال ورسخت في ذاكرة الزمــن ، وشعت في دنيا الأفلاك . كان لماجاس ملك قورينا ابنــة رائعة الحسن زاهية الجمال تدعى «برنيكي» باسم الهــة النصر عند الاغريق • فتزوجها بطليموس الثالث ملك مصر

وأحبها . وحدث أن قام بطليموس في ما بين عامي ٢٤٧ — ٢٤٦ قبل الميلاد بحملة حربية على خصومه في سوريا ، فيما يعرف بالحرب السورية . ويوم ودع زوجته انتحبت هذه وأنت ثم نذرت خصلة من شعرها الجميل للربة «أفروديت» ان عاد زوجها سالما منصورا . وقد كان .

عاد الزوج مكللا بغار النصر ، ووضعت برنيكي خصلة شعرها المسترسل في معبد أفروديت ، غير أن الخصلة لم تلبث أن اختفت بطريقة غامضة ولم يعرف لها مصير . وهنا أعلن منجم بطليموس الثالث واسمه «كونون» أنه شاهد خصلة الشعر تشع في السماء وقد تحولت الى مذنب جميل لامع لم يكن في قبة الفلك من قبل، فأطلق عليها اسم مذنب برنيكي Comaberenice وعرفت به حتى اليوم .

وقد كرم بطليموس زوجته الوفية فأطلق اسمها على مدينة يوهبيرديس (بنغازي فيما بعد) وعرفت به منذ ذلك العهد. وحين جاء العرب وفتحوا ليبيا وجدوا الاسم فعربوه فأصبح «برنيق»، واشتهر رجال علم وفضل من برنيق مثل العالم النحوي الخطاط علي بن البرنيقي وغيره . وقد كان للقصة أن تنتهي عند هذا الحد لو لم يكن في بلاط بطليموس شاعر علم معروف، هو كاليماخوس القوريني الذي نظم قصيدة بديعة أسماها : «خصلة شعر برنيكي» ضمن

منظومته الشهيرة Aetia أو «الأسباب» ، وتعني أسباب نشأة المدن وأسمائها • ومن بعد كاليماخوس القوريني جاء «كاتولوس» الشاعر الروماني في القرن الاول قبل الميلاد ليترجـم قصيدة كاليماخوس من اليونانية الى اللاتينيـة وانتشرت من بعد ذاك انتشارا عظيما • حتى اذا ما جاء القرن الثامن عشر نجد شاعرا من أبرز شعراء الانجليز ، هـو بوب Pope ينشيء قصيدتـه الذائعـة الصيت «اغتصاب الجديلة» ، أو «افتكاك خصلـة الشعر» يظهر تأثره فيها واضحا بقصيدة كاليماخوس في برنيكي • وعندما يرفع أحدكم عينيه الى السماء ويرى ما يدعى اليوم فـي العربية «كوكبة الذؤابة» تسطع بين كواكب «الدب الأكبر» والراعي وبرجي العذراء والأسد فليعلم أنها ذؤابة برنيق الخالدة !

سادروس وسردينيا

ان للنشأة الأسطورية للمدن حديثا يطول . وقد كان الأقدمون يصلون الحقيقة بالخيال حين الكلام في هذا الموضوع . الا أن هذا لا يمنع من القول بأسس واقعية للأحداث يبني عليها المؤلفون قصصا طويلة يمتزج فيها المعتقد بالأسطورة بالواقع ، تماما كما هو الحال بالنسبة للأدب العربي في قصة سيف بن ذى يزن وعنترة بن شداد العبسي .

ولقد ذكرت مرة ما عرف عن قدماء الليبيين من حب المغامرة والرغبة في الكشف سواء في داخل افريقيا أو حولها . وأحب أن أتبع هذا الحديث برواية يقدمها لنا الكاتب الرحالة اليوناني باوسانياس Pausanias في كتابه عن «بلاد الاغريق» . ومنها نستخلص أن البحر أيضا كان مجالا لكشف الليبيين ، مثلما كانت الصحراء والبر .

في البحر الأبيض المتوسط توجد جزيرتان معروفتان هما : جزيرتا سردينيا وكورسيكا . ولم يكن اليونان

يعرفونهما الا باسم غـامض لا يدرون عنهما شيئـا ، ثـم كشفوهما بعد ذلك ، وكـان لهـذا قصة جاءت على لسان باوسانياس •• قال : لقد كان أول مـن شق سبيله الى جزيرة سردينيا ــ التي كانت تدعى اخنوشا Ichnussa هم الليبيون، وكان هذا بقيادة «ساردوس» بن «ماكيريس» Sardus son of Maceris وهو بمثابة هرقل عند الليبيين والمصريين • وكان ماكريس الأب قد اشتهر بحملة قادها الى دلف ، لكـن ساردوس عرف بتجريدتـه على جزيرة اخنوسا التي عرفت باسم «سردينيا» نسبة اليه فيما تلا ذلك من الزمان •

ولقد كـان الجيش الليبي كريما مـع سكان البلاد الأصليين، فلم يخرجهم من ديارهم، فرضخوا لحكم الليبيين وأذعنوا • وكان السكان رعاة كما كان الليبيون فلم تبن مدينة في ساردينيا ، وعاش القوم مطمئنين في سلام •

غير أن الزمان لم يصف • فبعد سنين مـن مجيء الليبيين الى جزيرة سردينيا واستقرارهم فيها جاءت دفعات متتاليـة من اليونان وشبـه جزيرة أيبيريا وزاحمتهـم في معاشهم هناك • كانت الدفعة الاولى بقيادة «أرستايوس» من اليونان ولم ينشيء هو الآخر مدنا والثانية من أيبيريا بقيادة نوروكس Nurox وأنشأ مدينة «نورا» والثالثة من أتيكا بقيادة ايولوس Iolous وأسس مدينة Olbia

جاء أينياس Aeneas فارا من حرب «طروادة» واتصل ببقية اليونان في الجزيرة .

قال باوسانياس : كان اليونان قد كونوا وحدة تقف في وجه العناصر غير اليونانية في الجزيرة ، وتنازعوا معهم، وحرموهم من كل ما ينفعهم ، وكان نهر يفصل الفريقين يمنعهم من الاشتباك المباشر . بعد سنين عدة وصلت دفعة جديدة من الليبيين بجيش عظيم واستعداد كامل وأعلنوا الحرب مع اخوانهم على اليونان ، فدمروهم تدميرا كاملا واضطروهم الى اللجوء الى الجبال المنيعة . وتم استقرار الليبيين في جزيرة سردينيا ، كما مدوا سلطانهم الى جزيرة كورسيكا القريبة والتي اطلقوا هم هذا الاسم عليها وطابت لهم فيهما الحياة .

كان هذا الحديث بعد حرب طروادة بقليل ، أعني منذ حوالي أربعة آلاف عام . وكان ساردوس الليبي يطلق اسمه على جزيرة سردينيا ويستولي على جزر البحر الأبيض المتوسط !

خيول الاسبوستاي

لا تزال صورة الفارس الليبي عالقة بالذهن ، في حربه ضد الغزاة ، أوفى سباقاته مع الأقران ، أوفى الاعراس وهو يرمح بجواده والنسوة يطلقن من حوله الزغاريد .

واذا كانت شهرة الجواد العربي قد عمت الآفـاق ، فما هو الا رفيق رحلة واحدة لما كان في ليبيا من الصافنات الجياد . وهما في نسب الخيل زميلا نشأة وتطور وانتشار.

ولقد كانت الخيل تمثل في ليبيا القديمة شيئا مـن الاهمية بمكان ، وكانت قبيلة «الأسبوستاي» في سهول الجبل الأخضر تنتج أفضل السلالات وتصدر للعالم كـل ضامر عداء . ومن هنا كانت شهرة الخيول الليبية بالسرعة في العدو ، والقدرة على الاحتمال ، والسبق في الميدان . وكان الكتاب والشعراء يشيدون بها ويطنبون في الاشادة، تماما كما كـان يفعل امرىء القيس وأضرابـه في وصف الخيول .

ولقد حفظت لنا الأسفار بعض اشارات قاومت الزمن

وعاشت رغم الدهور من ذلك مثلا ما يذكره «سوفوكليس» في مسرحيته «الكترا» عن الجواد الليبي الأصيل ، «ولو كان الساموراتي» في كتابه «فرساليا» ، ثم «سترابو» في مؤلفه «الجغرافيا» .

وفي القصيدة البوثية الرابعة لبندار نجده يمدح ملك قورينا «ذات .. الخيول المطهمة الكريمة» مثلما يفعل كاليماخوس حين يقول : «لا يزال صوت العجلات يتردد في آذان الأفراس الليبية» .

ولقد مهر الليبيون القدماء ــ كما يقول Bates في تدريب الخيل حتى باتت تطيع صاحبها كل الطاعة ، وكانوا يركبونها دون لجام في بعض الأحيان ودون سروج أيضا . وبهذه الخيول الاصيلة استطاع أبطال قورينا من مثل «أركسيلاوس» و «كراستنيس» أن يحوزوا قصب السبق في أولمبياد اليونان وأن تقام لهم التماثيل وتنشد فيهم الأشعار .

وقد روى «بندار» في قصيدته البوثية التاسعة . قصة زواج بنت ملك قبيلة «الجلغاماي» الليبية حين أعلن هذا أن ابنته ستزف الى أول من يصل فيسباق أعده لذلك. وكان أن وضعها في مكان وأعطى اشارة البدء فكان السابق هو «ألكسيداموس» الذي انهالت عليه أكاليل الغار وفاز بالفتاة . وتقول السيدة جين هاريسون J. Harrison

«في كتابها Methologi أنه وجدت لوحــة تبين أول استيراد للخيول في جزيرة كريت ، وعلى أفواه هذه الخيول لجم ، وهي عادة لم تكن عند الأسيويين أو الأوروبيين ، بل كانت عند الليبيين . ويظهر بوضوح أن الجواد المرسوم على اللوحة من سلالة ليبية كريمة ، ويدل ذيله الذي هــو بشكل نافورة على أصله الليبي .

فاذا مــا أرخى الفارس الليبي اليوم لجواده العنان وأعمل فيه «المهماز» ، وانطلق لا يلوي على شيء ، فــلا عجب .. فان لنا في عالم الفروسية تاريخا جد قديم !

كاباون الطرابلسي يدحر الوندال

أشرت فيما سبق الى وجود الخيل في ليبيا منذ القديم وذكرت شهرتها العالمية في العدو والقوة وحسن التدريب .

واذا كان الفرس قد عرف في المناطق شبه الصحراوية فان الجمل أقرب الى البلاد الصحراوية وألصق بها من كل حيوان آخر . غير أن ليبيا لم تعرف الجمل الا في القرن الاول قبل الميلاد ، ثم عم بعد ذلك وأصبح اداة التنقل والحرب على حد سواء ، بل كان في الحرب خير معين .

ولا ضير هنا من ايراد دور الابل في مقاومة الليبيين لاحدى الغزوات الكبرى التي تعرضت لها بلادهم في تاريخها الطويل ، وهو ما جاء في كتاب بروكوبيوس القيصري عن «الحرب الوندالية» . كان الغزاة هم الوندال .. ذلك الشعب الجرماني الذي دوخ أوربا وساح منها عن طريق اسبانيا الى شمال افريقيا ، يدمر ما بقي من الرومان وينشر الرعب والذعر والخراب ، حتى وصل الى مشارف طرابلس

قاصدا مدن صبراته وأويا ولبدة •

وكانت قبيلة لواتة هي أكبر القبائل الليبية يومذاك ، يتزعمها رئيس تميز بقوة المراس والدهاء هو «كاباون» • وكان الوندال بقيادة «تراسامندوس القاسي» يزحفون من قرطاجنة في الطريق الى لواتة وضربها بعد أن أصبحت القوة الوحيدة التي يحسب لها حساب •

أما كاباون فقد حزم أمره وأعد عدته وقسم جيشه فرقا ، وبعث عيونه يتجسسون على جيش الوندال ، يسيرون معهم حيث يمضون وينزلون حيث يحطون ، ويرصدون حركاتهم ويتابعون فظائعهم ثم سبقوهم الى كاباون لينبئوه بما شاهدوا •

قال بروكوبيوس : استعد كاباون قائد لواتة بجيشه على نحو لم يعهده الوندال ، اذ اختط دائرة في السهل الذي عزم على ملاقاة الوندال فيه ، ووضع جماله بشكل دائرة بجوانبها لحماية المعسكر ، واتخذ من اثني عشر جملا جبهة تواجه الوندال ، ثم وضع الاطفال والنسوة والعجزة في وسط الدائرة وأمر رجاله بأن يأخذوا أماكنهم بين أقدام الجمال ويحموا أنفسهم بالدروع •

فلما وصل الوندال ووجدوا لواتة على هذا الوضع ذهلوا وجفلت خيولهم التي لم تتعود رؤية الابل ، وسرعان ما انطلقت نحوهم سهام لواتة ونبالها تجندلهم واحدا تلو الآخر وهم لا يدرون ما يفعلون ، فقد كان الوندال يجهلون

هذا التكتيك الجديد ، وكانوا فرسانا وليسوا أهل ابل •

قال بروكوبيوس : لقد أثخن لواتة الوندال قتلا وتجريحا فبدأت البقية الباقية في الفرار وهلك قسم كبير ولم يعد من جيشهم سوى القليل •

قال : وكان هذا هو نصيب تراسا موندوس من العذاب الذي لقيه على أيدي أهل طرابلس •

بجمل وسهم دحر كاباون اللواتي الطرابلسي جحافل الوندال المتوحشة ، حين عرف كيف يستخدم الجمل والسهام !

لواتة تنتقم

اذا كانت قبائل لواتة الليبية قد حاربت الوندال ، كما علمنا ، وهزمتهم بقيادة كاباون الطرابلسي شر هزيمـــة ، فانها أيضا كانت دائمة الثورة ضد الروم الذين طالما اذاقتهم الامرين ويقص علينا بروكوبيوس القيصري خبر احدى هذه الثورات العارمة التي كانت نتيجتها وبالا على الروم وشرا مستطيرا .

ذلك أن الامبراطور جستنيان عين عام ٥٤٣ بعد الميلاد حاكما عاما على ليبيا هو سليمان الداراسي الذي ولى ابن أخيه سرجيوس على لبدة . وحدث أن جاء ثمانون رجلا من وجوه لواتة وشيوخها ليشكوا اليه ما يفعل جنود الروم بأملاكهم من نهب واغتصاب ، ويطلبوا منه ايقاف عدوانهم على أرضهم . وبينما كانوا يتحدثون نهض سرجيوس حاكم لبدة من مجلسه فتعلق بكتفه أحد الشيوخ يبغي منه مواصلة النقاش . وهنا أسرع أحد حراس سرجيوس فقتل الشيخ، ثم قتل بقية زملائه الثمانين الا واحدا استطاع أن يفلت

دون أن يراه أحد وأسرع هذا يخبر لواتة بمصير شيوخها الرهيب .

هنا ثارت ثائرة القوم واندفعوا بجيشهم اللجب يطبقون على الروم حول لبدة وكسروهم ، فلجأ هؤلاء الى نواحي تونس يستنجدون بسليمان حاكم عام ليبيا ولواتة في اثرهم .

خاف سليمان من كثرة عدد لواتة ومن قوتها ، فأسرع يهادنها ويطلب السلام الذي كان سائدا قبل ذاك ، ويعد بأنه سيحلف بالانجيل أن لا يمسهم بسوء . لكن لواتة سخروا منه وقالوا له : لقد خنتم من قبل وغدرتم بشيوخنا فلتكن الأناجيل مع المظلوم على الظالم !

وعندما لم يجد سليمان بدا من القتال أعد عدته والتحم مع لواتة في معركة ضارية عند مدينة تبستة في تونس. .وكان النصر له في البداية غير أن الخلاف بين جيشه والرعب من لواتة لم يلبثا أن رجحا كفة هؤلاء ، فاستطاعوا أن يقضوا على الحشد الحاشد من جيش الروم الذي أعده سليمان .. وان يفرقوه ويبددوا شمله .

قال بروكوبيوس في (كتاب الحروب) : ثم أنطلق سليمان يبحث عن النجاة وكانت لواتة يقتفون أثره ، فما أن وصل الى نهير كان يجري هناك حتى كبابه فرسه ووقع، وكانت أيديهم في انتظاره بعد ان قتلوا حراسه جميعا ، فأخذوه وقتلوه هو الآخر انتقاما لثمانين شيخا من الليبيين

غدر بهم الروم وخانوا . وكان انتقام لواتة مدمرا رهيبا كسر من شوكة الروم، ومهد للفتوحات الاسلامية من بعده.

قال بروكوبيوس وهو يختم قصته : «وهكذا كانت نهاية حياة سليمان الداراسي والى جستنيان في ليبيا على أيدي رجال لواتة الحانقين!!»

لواته .. لباتاي .. والليبو

تلك كانت لواتة التي تحدثت عنها فيما سبق التي هزمت الوندال وأذلت الروم وكانت انتصاراتها في ثوراتها المتكررة تمهيدا للفتح الاسلامي في ليبيا .

وعندما جاء عمرو بن العاص الى ليبيا فاتحا كانت مجموعات لواتة في برقة وطرابلس في انتظاره ، وهي أكبر الجماعات في العدد يومذاك ، مع قبائل هوارة وغيرها . وكان أن عقدت معاهدة بين عمرو بن العاص ولواتة في برقة مكنته من ضمان تحركه غربا الى طرابلس ليزحف على معاقل الروم في عاصمتها ، وفي صبراته ويخرج منها الروم بعد ذلك .

وأحب الآن أن أشير الى رأي عن أصل لواتة هذه ومنشأها ، وهو رأي أورده فرنسيس رود F. Rodd في كتابه عن الطوارق people of The Veil حين أشار الى أن قبائل لواتة التي عرفها العرب أول ما عرفوا ليبيا هي بعينها قبائل «الليبو» القديمة التي كانت تسكن ليبيا

الشرقية .

ومن رأي رود أن لفظتي «لواته» و «ليبو» متطابقتان تقريبا مع شيء من التحريف الذي تطلبه اختلاف لسان العرب عن لسان الأعاجم .

ولقد وضع الجغرافي العربي الكبير الادريسي لواته في نفس الموضع الذي عينه لهم «ليو» وهو الذي يدعوهم «ليبتاي» Lebatae، أو لفاته Levata . فلما جاء عبد الرحمن بن خلدون تحدث عنهم أيضا في تاريخه ، ودعاهم لواته ، فقلب حرف الـ V اللاتينيـة وجعلها واوا لتتفق مع النطق العربي السليم . فاذا علمنا بعد هذا أنه كان يحدث في اللسان اللاتيني أن يقلب حرف الـ B الى حرف الـ V ، فيقال «بندال» و «فندال» مثلا ، وننطقه نحـن العرب «وندال» ، كان مـن الصواب القول بأن الاسـم الصحيح للواته هو لباتاي .. ويظهر جليا مدى قرب لفظي لباتاي وليبو حتى نعلن أنهما يعنيان نفس المفهوم .

ولقد قلت ان جماعة الليبو كانت تسكن شرق ليبيا ، ونحن قد وجدناها الآن في الغرب ، وتفسير هذا أن القبائل الليبية القديمة كانت دائمة التنقل والترحال في هذه البلاد.. وهذا ما جعل القبيلة الواحدة تنتقل من موضع الى آخر حسب الظروف وبحسب ما أثبته لنا المؤرخون والرحالة.

كذلك نحن نعلم أن قبائل «الليبو» في شرق البلاد

تعرضت لغزو من قبائل «المشوش» في غربها ، فلا بد أن يكون هناك اختلاط أثر في مواطن القبائل في الغرب حول سرت وخليج قابس ، ثم نجد المسعودي يقول ، بعد عدة قرون انهم يعيشون في واحات الصحراء الغربية .

ولقد ظلت لواتة ذات أثر حتى القرن العاشر الميلادي حين ساعدت حاكم تاهرت في الجزائر على الثورة ضد المنصور الخليفة الفاطمي ، فلما انتصر هذا بدد شملها بين الصحراء والجبال ما بين قابس وصفاقص في تونس وبين واحة سيوة وما حولها .

لواتة ، أو الليبو ، كان لهم على مدى التاريخ ذكر ووجود . ثم أنصهروا في البوتقة العربية الاسلامية، واستقر بهم الحال .. وخيرا فعلوا !

اعداء الريح اصدقاء الثعابين

ما دام حديثنا قد تطرق الى ذكر بعض القبائل الليبية القديمة فلنرو قصة قبيلة أخرى أتى بها هيرودوت ، تلك هي قبيلة «البسولي» أو «البسولوي» •

ويتبين من قصة أبي التاريخ أن البسولوي كانوا قد انقرضوا في عصره ولم يكن لهم وجود • قال : «وهم انقرضوا على هذا النحو ، ذلك أن ما في صهاريجهم من ماء جف بفعل الرياح الجنوبية ، ولم يعد هناك ماء في كل أنحاء موطنهم الواقع في اقليم سرت • وبعد أن تشاوروا مع بعضهم البعض ساروا نحو الجنوب ـ وأنا أحكي القصة كما يرويها الليبيون ـ وعندما توغلوا في الصحراء الرملية ردمتهم ريح عاتية قادمة من الجنوب • وهكذا انقرضوا تماما واستولى النسامونيس على اقليمهم» •

هذا ما يقوله هيرودوت عن البسولي وهي قصة يبدو عنصر المبالغة فيها واضحا ، والارجح أن النسامونيس اشتبكوا مع البسولي وتغلبوا عليهم فدفعوهم الى الصحراء

واستحوذوا على أراضيهم ، اذ ليس من المعقول أن يقصد من يبحث عن الماء الصحراء طلبا له وهو يعلم أن الرياح الجنوبية هي التي جففت ما لديه من مخزون المياه !

ويرجح هذا الرأي ما ذكره بعد ذلك «بليني الاكبر» في كتابه «التاريخ الطبيعي» من أن البسولي كانوا يعيشون على مسافة اثني عشر يوما من القرامنت في فزان . وبليني جاء بعد هيرودوت بخمسة قرون من الزمان .

وقد اشتهرت قبيلة البسولي بأن سم العقارب والأفاعي لا يؤثر في أفرادها ، وكانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة أفعى فان لم يمت كان هذا دليلا على انه منهم واليهم، وأنهم كانوا ذوي قدرة على ابراء المنهوش والملدوغ واخراج السم من الأجسام . ويعتقد أوريك بيتس Bates أن الأفعى كانت طوطما تعبده هذه القبيلة وتتخذ منها ، الهالها تلجأ اليه حين البأس .

وتروى حادثة مشهورة عن هؤلاء القوم أثبتها أكثر من مؤرخ وكاتب . فعندما بلغ كليوباترة ــ الملكة المصرية الشهيرة ــ نبأ موت حبيبها أنطونيو لجأت هذه الى أفعى سامة ومكنتها منها . فلما وصل أكتافيوس غريم أنطونيو رام انقاذها فأرسل يدعو على عجل أحد ابناء قبيلة البسولي الليبية لينقذ كليوباترة ، ولكنه لم يفلح فقد قضى الامر وفات الأوان .

ويخطر هنا سؤال : اذا نجح ذلك البسولوي في

انتزاع السم من جسد كليوباترة ، وانقذها من الموت كانت تخلد على التاريخ ؟ وهل كانت روائع شكسبير وبرناردشو وأحمد شوقي تخرج للوجود ؟ ما أظن .. وما أظنكم تظنون !

اصح الناس اجساماً

في بيئة يكون الرعي هو مقوم حياتها الرئيسي لا بد أن تتقاسم أرضها قبائل وبطون ، وان تشابكت في الأصول الأولى فانها تختلف قليلا أو كثيرا في العادات وسبل الحياة، تماما مثلما كان حال القبائل العربية في شمال الجزيرة أو جنوبها وشرقها أو غربها .

ولقد عدد هيرودوت أسماء قبائل كثيرة ، بدءاً من غرب مصر حتى ساحل المحيط الأطلسي، وكان يسمي جميع هذه القبائل «الليبيين» وان قسمهم الى بدو رعاة ومستقرين في القرى والمدن . وقد تحدث عنها في «الكتاب الليبي» Libikoi Logoi باقاضة واستطراد ، عن قبائل من مثل الأدورماخيداي والجيلغاماي والأسبوستاي والاوسخيساي والنسامونيس والقرامنت والقمفزانت والأترانت والمكاي والجندانيس والمخلويس والأوسيس والماكسوس والزاووكس .. وغيرها كثير .

وكان طبيعياً أن يتعرض هيرودوت للعادات والتقاليد

والأعراف ، ويظهر من حديثه مدى الصلة التي كانت تربط بين الليبيين وجيرانهم في الشرق أو على الساحل ، كما يتبين لنا أنهم رغم التأثر الطبيعي بالمصريين واليونان مثلا كانوا على وشائج قوية تجمعهم كليبيين متميزين عن غيرهم من الشعوب المجاورة •

ـ فقبيلة الأدورماخيداي مثلا كانت تقطن غرب مصر حتى منطقة السلوم ، وهي اقتبست عادات المصريين ، الا أن لباسها ظل لباسا ليبيا مثل غيرها من القبائل ، كما ظلت الجليغاماي شبيهة في عاداتها باخواتها الليبيات • وأنا انقل هنا عن هيرودوت •

ولقد كان لهذه القبائل تقاليد وأعراف مميزة طريفة، فرضتها ظروفها الخاصة واشتهرت بها بين الشعوب ، وظل بعضها ساريا عندنا حتى اليوم • من ذلك أن نساء قبيلة الأدورماخيداي كن يضعن حلقات برونزية حول السيقان ويطلقن شعورهم مسترسلة فوق الأكتاف ، وتلك هي الخلاخيل التي تصاغ من الفضة ومن الذهب اليوم بعد تدفق الذهب الأسود •

وكان فتية قبيلة المكاي ، وموطنهم من القوس حتى وادي كعام ، يزهون بضفائرهم التي تتدلى من وسط رؤوسهم ، فكانوا يحلقون جوانب الرأس ولا يبقون سوى خصلة من الشعر في وسطه يتزينون بها ويفتخرون •• أليست هذه هي «القطاية» بعينها •• أو هي «الشوشة» ان

شئتم اسما آخر لها ؟ وكان من العادات الليبية القديمة أن يأخذ القوم أولادهم حين يبلغون الرابعة من العمر ثم يكووا عروق رؤوسهم أو أصداغهم بدهن صوف الغنم حتى لا يصاب هؤلاء بعد ذلك أبدا بأوجاع الدماغ . قال أبو التاريخ : «وهم يقولون ان هذا يجعل أولادهم أصح أجساما . ويعلق : «والحق أنه ليس في المعروف لنا من الشعوب من هو في مثل صحة الليبيين ، ولست أدري ما اذا كانت هذه العادة هي السبب ، لكنهم أصح الناس أجساما بكل تأكيد !»

التمر والملح والثيران والعربات

لعل أشهر القبائل الليبية القديمة ثلاث: النسامونيس، والقرامنت ، واللوتوفاجي •• ولكل منهم حديث يطول •

أما النسامونيس فقد كانوا يسكنون المنطقة المحيطة بخليج سرت ابتداء من بنغازي غربا حتى منطقة القوس • وكانوا يقولون انهم ينحدرون من جدهم «نسامون بن قراماس» فهم والقرامنت أبناء عمومة على هذا الاساس • وكان لهم نمط في العيش وأسلوب حياة • وكانت واحة أوجلة وما حولها منذ قديم الزمان ذات نخيل وتمر ينمو بكثرة ووفرة عظيمة ، فاذا ما جاء موسم التمر ، ونضج في أعذاقه واستوى للجمع ، ترك النسامونيس أغنامهم قطعاناً بجانب البحر واتجهوا الى داخل الصحراء يقصدون أوجلة ذات النخيل ، فيجمعون التمر الذي لا يجد من يجمعه يومذاك ، ويؤبون الى موطنهم محملين بزاد العام • ذلك كان في الزمن الضارب في القدم •• ومن للتمر بمن يجمعه اليوم ؟!

اما القرامنت فقد كانوا يقطنون في واحات فزان على مدة عشرة أيام من أوجله .. وكانت أرضهم ، كما هي اليوم ، تتميز بالنخل الكثير المحمل بثماره ، وكانت ينابيع مياه عذبة سائغة للشاربين . كان القرامنت شعباً كثير العدد يشتغل بالزراعة ويفلح الارض . لكن أي أرض هي؟

يخبرنا هيرودوت فيقول ما مؤداه : ان أرضهم كانت ملحية لا تصلح للزراعة فكان القوم يتغلبون على هذه المعضلة بأن يجلبوا ترابا وطينا يبسطونه فوق الملح ، ثم يزرعون ما شاءوا بعد ذاك .

نصدق أو لا نصدق ، فهكذا ورد ، وهكذا كان الناس يصارعون الطبيعة ويطلبون الحياة، ويتحدون أكوام الملح ويبذرون رغم أنفها البذور .

ولقد كانت معلومات هيرودوت عن القرامنت نزرة قليلة ، فلم يجد ما يرويه عنهم الا الاعجوبة التي يراها ، وهي أنهم يملكون ضربا من الثيران عجيبا ، فقد كانت تلك الثيران تشبه غيرها الا في سمك الجلد وصلابته ، والا أن قرونها بلغت من الطول والانحناء الى الامام حدا جعلها ترعى الكلأ وهي تمشي القهقري ، فلا تتقدم خشية من أن تنغرز قرونها في الارض.ثم يذكر أن القوم تميزوا بعربات حربية ذات عجلات أربع ، تلك التي نقلها اليونان عن الليبيين بعد ذاك وصاروا يستعملونها في الحروب .

لكن «جرمة» تلك العاصمة القديمة في قلب الصحراء

تروي أنه كان للقرامنت مجد وصولة وأسس حضارة ٠ وما خلفه لنا الكتاب من الرومان يلقي أضواء على ما كان لهم من سلطان في هذه البلاد وما جرى بينهم وبين الرومان من صراع لم ينته الا بعد حين ٠

أكلة اللوتس

كان الكتاب الأقدمون من اليونان ، ويتبعهم في ذلك الرومان ، يسمون بعض الشعوب بما يشتهر أنه طعام لها فيقولون مثلا : الاختيوفاجي ، ويعنون «أكلة الاسماك» و : اللوتوفاجي ومعناها «أكله اللوتس» . وقد كان «أكلة اللوتس» هؤلاء معدودين من الليبيين وان اختلف الكتاب في موطنهم بعض الاختلاف . فبينما يضعهم «هيرودوت» في جزيرة جربة وحول خليج سرت الصغرى ، أو ما نسميه الآن خليج قابس ، نجد أن «بليني» يجعل موطنهم يبدأ من الشرق أي من شرق خليج قابس وينتهي عند القوس ويخلط بينهم وبين قبيلة المخرواي أو المغراوة فيما بعد ، ويتابعه في هذا «استرابو» . ونرى أن «سكيلاكس» يضعهم ما بين شرق قابس حتى كعام ، وكذلك يفعل «بطليموس» . وعلى كل حال فقد كان أكلة اللوتس يجوسون في هذه المناطق والبقاع ، ولعلهم كانوا يتنقلون هنا وهناك على عادة القبيلة في التجول والترحال .

كان شاعر اليونان الاكبر هوميروس أول من ذكـر اللوتس وتحدث عنه، ذلك في ملحمته الشهيرة «الاوديسة» حين طوف بطلـه المعروف «أوديسيوس» الجزر والبحار بسفينته أملا في العودة الى وطنه،لكن غضبة «بوسيدون» كانت تلقى به على الشواطىء المجهولة وترميه في بلاد الله الواسعة دون أن يهتدي الى طريق الوطن • وكان ساحل ليبيا ــ الذي كان مجهولا عند اليونـان الا قليل منه ــ احدى البقاع التي ألقى عليها أوديسيوس مراسيه ، وهناك كان اللوتوفاجي في انتظار رجال أوديسيوس بالثمرة الشهية الطيبة«اللوتس» يطعمونها فتأسرهم بحلاوة مذاقها وتنسيهم أوطانهم الأصلية وتجعلهم لا يرومون عنها البعاد •

كانت ثمرة اللوتس قد خلبت ألباب بحارة أوديسيوس وألقت عليهم غلالة من نشوة عجيبة ، فارتموا على الساحل السحري يستمتعون بغيبوبة الغبطة ، ورفضوا أن يؤوبوا مع أوديسيوس الى السفينة ولم يخلصهم منهـا الا بعد نصب •

وعلى لسان بطل الاوديسة يقول هوميروس :

« من ذاق مرة ذلك الطعم الشهي

سلا وطنه ورغب عن الاياب اليه أبدا،

ولن يعرف صحبه مصيره •

فمن اشتهى من رسلي أن يحيا بين أكلة

اللوتس ويطعـم تلـك الفـاكهـة •

فلن يؤوب أبد الدهر » !

ومن بعد هوميروس نالت شجرة اللوتس الليبي صيتا عالميا ذائعا ، وكان الخيال الشعري قد زاد الواقع طرافة وعجبا . حتى اذا بلغت شاعر الانجليز الاشهر «تنيسون» قال في قصيدة بعنوان « أكلة اللوتس » :

« حملوا أغصان تلك الشجرة المسحورة .
وتبادلوها مثقلة بالزهر والثمار .
فمن تناول منها وتذوقها حمله التيار الى بعيد بعيد.
يظل ينتحب ويهذي على السواحل الغربية .
واذا تكلم رفيقه جاء صوته خافتا كأنه صادر عن رمس .
ويمضي في سبات عميق وهو الصاحي كل الصحو ..
ودقات قلبه ترسل في أذنيه أنغاما شجية » !

تلك شجرة اللوتس الليبية في عزها القديم . ولم لا ؟ ألم تسبغ اسمها على شعب بأكمله ؟!

الثمرة المباركة

هل هي شجرة النبق؟ أم نبات الخشخاش أو القنقيط؟ هل هي لا زالت توجد وتعيش أم انقرضت كما انقرض الذهب الاخضر .. نبات السلفيوم ؟ أهي مجرد أسطورة وخيال ؟ أم حقيقة كانت واقعة ؟

حـار الباحثون واختلف الدارسون في الامر أيمـا اختلاف . وكانت الآراء تشتجر حول الموضوع ولا تتفق في أغلب الاحيان .

واذا كانت زهرة اللوتس المصرية قد عرفت وحددت بتويجها الثلاثي ، وكانت رمزا على المعابد المصرية القديمة، فحفظت لنا ، فـان ثمرة اللوتس الليبية ظلت سرا طواه المجهول ، وان كان اغلب من كتب عن هذه البلاد أشار اليها والى أكلتها .

ولقد أتى بليني في كتابه (التاريخ الطبيعي) بشيء عن هذه الشجرة العجيبة . قال ما خلاصته :

ان ساحـل أفريقيا الشمالي ينتج شجرة شهيرة هي

اللوتس ويوجد أفضله حول سرت ومنطقة النسامونيس •
وهناك انواع عدة من اللوتس منه ما كانت ثماره على
شكل الكمثرى أو أنها صغيرة جدا • أما النوع الذي
نقصده فهو ما كانت ثماره كحبات الفول ، وهي صفراء
كالزعفران ، وان كانت تغير من لونها مرات قبل أن تنضج
مثلها في ذلك مثل العنب . وقال : وهي تنمو في أعذاق أو
عراجين كثيفة فوق الاغصان مثل ثمار الآس ، ولا يحتوي
أفضله على نوى في حين يكون لبعضه نواة عظيمة في لبه •
ويتبين لنا من قول بليني ان الرومان عرفوا ثمرة اللوتس
وحاولوا ادخال زراعتها الى ايطاليا ، ولكن اختلاف التربة
والهواء لم يسير لهم ذلك ففسدت ولم تنجح زراعتها قط
هناك ، وظلت متشبثة بأرضها الأم لا تريم •

ويبدو أيضا أن القوم كانوا يتخذون شجرة اللوتس
وثمارها أدوات في الحياة ، فكانوا يتطببون بمضغها علاجا
لأمراض المعدة • فاذا لم يكن بهم مرض وداء اتخذوا منها
شرابا يفصد من الثمار ويخمر فتكون سلافا طازجة لا
تصلح لأكثر من عشرة أيام ، ولعلها تشبه اللاقبي في هذه
الخاصية الخمرية المميزة للشرايين •

فاذا ما انتهى الناس من الثمار التفتوا الى جذع
اللوتس ذي اللون الأسود فيصنعون منه النايات المطربة
البديعة ، أو مقابض جميلة للمدى والخناجر أو أدوات
المائدة الفاخرة •

ومهما يكن من شيء فان شجرة اللوتس هذه كانت قد نالت نصيبها من الشهرة والذيوع وسواء سميت رامنوس لوتوس R ahamnus Lotus او zyzephus Lotus أو قيل انها النبق أو الغردق او الخشخاش او القنقيط •• فانها كانت نبتة مباركة تداوي الجراح ، وتطعم الجائع ، وتسري عن التعساء ، وتبعث النشوة بثمارها وخمرها أو ناياتها السحرية الخالدة •

وانها لتستحق أن يذكرها هوميروس ومن بعد هوميروس ، وأن تدعى •• شجرة السلوان !

ينبوع الشمس

ليبيا بلد غير ذي نهر ، ويعتمد على الامطار الجوفية والعيون أو الينابيع . ذلك ما نراه في رأس الهلال أو عين سمبر قرب سوسه ، وعين مارة في درنة ، ومن مثل عين تاورغا والشرشارة في ترهونة ، أو ما ترddه الأغاني عن العين الزرقا والرومية .. ومثلها كثير .

ولقد بلغ اهتمام الليبيين بهذا المصدر الهام من مصادر الحياة مبلغا كبيرا . ويذكر لنا ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» أن في غدامس «عينا أزلية ، عليها أثر بنيان عجيب ... يفيض الماء منها ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة ، لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه . وعليه يزرعون». تلك التي يعنيها ياقوت هي عين الفرس الشهيرة المعروفة .

وكان الليبيون القدماء يعبدون قوى الطبيعة في مختلف مظاهرها . وكانت الينابيع تحظى بتقديس كبير واحترام وافر ، ولا يزال احفادهم في واحة سيوة كما يقرر

أوريك بيتس Oric Bates يخشون الجن المقيمين بعين البحري وعين موسى ، ويشكل الاستحمام فيها جزءا من مواسم الزواج . وحين جاء اليونان الى ليبيا عام ٦٣٧ق.م. نزلوا عند نبع يدعى أزيريس ، ثم غادروه الى قورينا حين دلهم الليبيون على «نبع أبو للو» الذي نسميه الآن «عين شحات» . وأنشأوا مدينتهم لديه . وكان نبع أبو للو هذا مثار وحي للشعراء والفنانين يظهر جليا في قصيدة كاليماخوس القوريني «ترنيمة الى أبو للو» .

على أن من غريب ما يحكيه هيرودوت هي تلك العيون التي تبدأ من «طيبة» في مصر حتى حدود الأقيانوس شاقة الصحراء الليبية . فقد كان يوجد هناك تل من الملح، بعد كل مسيرة عشرة أيام ، ينبثق من وسطه ماء فوارعذب يسقي الزرع ويعيش حوله الناس . وعندما يقطع المسافر عشرة أيام غربا من طيبة يصل «أمونيوم» أوسيوة ، ثم بعدها يبلغ «أوجلة» يليها القرامنت فالأترانت ، حتى يأتي الى الاطلنطيين وفي كل هذه المحطات تلال ملح يندفع منها الماء العذب كما يندفع البترول من آباره هذه الايام . واذا كانت هذه الينابيع غريبة فان الأغرب منها «ينبوع الشمس» المقدس وكان في واحة سيوة المعروفة ، وقد ذكره أغلب الكتاب الأولين . قالوا انه كان ذا خاصة فريدة في نوعها : ذلك أنه عند الفجر يكون ماؤه دافئا ، فاذا أشرقت الشمس برد قليلا ، فاذا ما ارتفعت برد أكثر من ذي قبل . حتى اذا

ما توسطت الشمس كبد السماء كان ماء الينبوع باردا كأنه مثلج، وهنا يروي السكان بساتينهم ويسقونها. فاذا هبطت الشمس نحو الغروب بدأت حرارة النبع في الارتفاع وهي ترتفع بمقدار ما تغرب الشمس . فاذا ما انتصف الليل صار الماء يغلي ويفور من شدة الحرارة في هذه المنطقة الصحراوية ، فكأن الله سخر للقوم ثلاجة ومدفأة في الوقت نفسه قبل أن تعرف الثلاجات والمدفآت !

أخطار السور يتاي

عندما أراد العالـم الشاعر القوريني ايراتوشنيس أن يصف الخمر القوية النفاذة لم يجد تشبيها الا البحر الليبي ورياحه الهوجاء . قال ما ترجمته شعرا :

وخمر كمثل اللفح تلهب شاربا
وتنفـخ في أوصالـه نيرانهـا
كما نفخت ريـح الجنوب وشمـال
مـن اليـم ليبيـا عـلا هيجانها
فتظهـر أسرار النفوس وتنجلـى
ونعرف مـا قد زانهـا أوشانها

وقد كان من المخاطرة بمكان كبير أن يجسر ربان على شق عباب البحر الليبي الذي يبدأ من غرب الاسكندرية الى حتى رأس تونس . وكان اليونان يرون في هذا البحر مسلكا صعبا لا يجرؤ على عبوره الا من وهب قوة المراس وصلابة العزيمة وشدة البأس . وعلى الرغم مـن قـرب

شواطىء برقة من جزيرة كريت فان اليونان كانوا يجهلون هذه المنطقة تقريبا ، وكان وصول سفينة «كولايوس» الى جزيرة بلاتيا — وهي التي ندعوها جزيرة بومبا اليوم — صدفة عجيبة كانت السبب في تأسيس قورينا . وكان الربابنة لا يخشون شيئا مثل خشيتهم رياح « زيفير » الجنوبية في البحر الليبي ، وقد كان القدر يترصدهم هناك باستمرار .

وليس غريبا بعد هذا ان يقول الاغريق ان اله البحر «تريتون» اتخذ من البحر الليبي مستقرا له . اذ بنى قصرا على شكل محارة ضخمة ومنها كان ينفخ نفخا هينا لينا فتكون ريح هادئة طيبة للسفن ، او يغضب فيزفر فيهيج البحر وتصطخب أمواجه ويكون الويل للسفين . وكان المعتقد كما يقول «جود تشايلد» في كتابه (بنغازي .. قصة مدينة) أن مقر تريتون هو بحيرة تريتونيس في الضحاضح المحيطة ببنغازي ، في «سواني عصمان» وما حولها .

على ان أخطر ما في البحر الليبي كانت ضحاضح سرت ، والمقصود هنا خليج سدرة كله وليس البلدة التي تعرف بهذا الاسم اليوم . وقد كانت الضحاضح مثار خوف البحارة وخشيتهم ومبعث الرعب في قلوبهم . ويشرح لنا «بليني الاكبر» شكل سرت الكبرى ولم سميت بهذا الاسم . قال : ان نوعا من الشواطىء يمتد هناك يقسمه البحر

بدخوله . ولما كان مغطى بالماء فان هذا الشاطىء يختفي تحت الماء ولا تراه العين .

وهو يشكل بانحنائه خليجا هلاليا طويلا جدا ويمتد وتر الهلال الى مسافة ٤٠٠ فرسخ ، ويبلغ محيطه مسيرة ستة أيام . وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء الهلال يستحيل عليها أن تعود . ذلك لأنها تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تسحب الى الداخل بقوى مغناطيسية هائلة .

وهنا تقع السفينة في الفخ .. فلا هي مستطيعة الابحار بسبب الصخور المختفية تحت الماء ولا بقادرة على التقدم نحو اليابسة اذ تنتظرها الدوامات والرمال الناعمة التي تسحبها حتى تغرق . قال بليني : ان كلمة «يسحب» أو «يجذب» تعني باللاتينية Surithae سوريثاي . ومن هنا جاءت كلمة «سرت» . أما الاستاذ «باكهام» Packham فقد قال : ان كلمة سرت عربية ومعناها الصحراء تطلق على الساحل شمال الصحراء .

ولست أدرى أي الرأيين أصوب .. وانما أقول كما يقول الأجداد : الله أعلم !

أربع كلمات ذات معنى

يحلو لكثير من الناس أن يفكروا بطريقة عابرة عند حديثهم عن هذه البلاد ، فيجعلون منها مجرد معبر لمختلف الامم والحضارات ويقولون انه لم يكن لأهلها دور في بنائها قط ولم يسهموا في حضارتها أبدا .

وهذا تجن كبير ينبغي أن نرفضه من أساسه . ذلك لأن ما حدث في ليبيا هو نفس ما حدث في مصر مثلا أو تونس أو أي بلد آخر من المنطقة . فقد كانت الأقوام تأتي الى هذا البلاد وتبني مجتمعا وتشق طريق حضارة ثم تنصهر في بوتقة الشعب الأصلي وتصبح جزءا منه لا يتجزأ . والا فأين ذهب الفينيقيون واليونان والرومان ان لم يتداخلوا مع الشعب الليبي ويصيروا شطرا منه ، كما فعلت قبائل العرب في هجراتها المتتالية الى هذه الأرض ؟

وأمامي الآن أربع كلمات أو أربعة أسماء ، يمكن أن تعني الشيء الكثير اذا ما فهمنا المغزى من ورائها . تلك

هي : باتوس ، وباركا ، ولبكيس ، ودارنس •

أما باتوس فهو اسم اتخذه اليونان الذين هاجروا الى الجبل الأخضر لقبا لارسطاطاليس الذي قادهم اليه عام ٦٣١ ق•م ويقول هيرودوت ان كلمة باتوس Bathus تعنى باللغة الليبية : «ملك» ومنذ ذلك الحين أصبحت الاسرة تعرف بهذا الاسم الليبي «باتوس» ولصق بها مدى التاريخ •

واما باركا Barca فهي مدينة المرج الحديثة ، وهي التي سعى اليها اخوة أركسيلاوس بن باتوس حين غضبوا منه وعاشوا مع الليبيين فيها • والمعروف أن هذه الكلمة ليست يونانية بل هي كلمة ليبية صرفة • وتسمى القبيلة حولها بركاي Barcae

واما كلمة لبكيس Lepcis فهي الاسم الاصلي لمدينة «لبدةالعظمى» •ويقول محررا كتاب The Inseri ptions of Tripolitania — أو «نقوش طرابلس الأثرية» ان الاسم تحول على يد الرومان من «لبكيس» الى«لبتس» لان الأخيرة كانت معروفة لديهم بتونس فميزو لبكس بقولهم Leptis Magna أو لبدة العظمى • على أن بيتس يرى علاقة وطيدة بين لبكي Lepci و«الليبو» أو الليبيين فهي على صلة بهم لا تخفى •

أما دارنس فهي مدينة درنة الحالية ، وهي كلمة ليبية

أيضا ربما تعنى «بين الجبال» أو «وسط الجبال» كما هو موقع درنة . ولا تزال كلمة «أدرار» البربرية تعنى الجبل ، وتعنى كلمة الأدورماخيداي الذين سبق ذكرهم أهل الجبل أو سكانه .

ولقد تتبع بيتس في كتابه الكبير « الليبيون الشرقيون» أصول اللغة الليبية القديمة وما بقي منها . فوجد أن كلمة «ايراسا Irasa » التي ذكر هيرودوت أن اليونان هبطوا فيها قبل قورينا تعنى المهبط أو المرسى . ومن عجب ان تتقارب هذه التقارب مع الكلمة العربية : « الرسو » .. رسا ، يرسو ، رسوا . .

كل هذا وغيره كثير يدل على أن المدن نفسها والدساكر كانت تتأثر بالليبيين ويغلبون عليها ، وهو أمر ليس غريبا على الاطلاق حين نقرأ ما أثر به الليبيون في مجال الكلمة والدين ومختلف نواحي الحياة .

وست كلمات ذات مغزى

قلت فيما مضى انه من المدهش أن يتقارب معنى الكلمتين الليبية والعربية في اللفظ والمعنى • فالكلمة الليبية «ايراسا» تؤدي بالضبط نفس مفهوم كلمة «المرسى» العربية وما يشتق منها •

غير أن هناك كلمات أخرى ايضا ليبية ـ عربية وهي ربما تدل على شيء مما يبحث عنه الباحثون •

لنأخذ أصل الكلمة الليبية التي لا تزال تستعمل في اللغة البربرية كما أوردها «بيتس» مقارنا بينها وبين اللغة الهيروغليفية ونقارنها بالكلمات العربية •

ان كلمة امزاك Amezak (MZK) تعنى : أن يقبض على أو يأخذ أو «يمسك» •

وكلمة يمت Emmet (Mt) تعنى «يموت» أو الموت نفسه • وكلمة يباد Ebbad تدل اما على الوصول

أو الدخول أو النفاذ أو «البعاد» •• وهو المطلوب •

وهناك لفظة (M) Mal وتجمع على أمان Aman والمقصود بها البحيرة أو «الماء» العربية •

ونحن اذا ما تتبعنا طريقة التخريج الذي يوغل أحيانا لقلنا ان كلمة ابزي Ebzi التي تعنى : الاغتسال أو البلل ، قريبة الحروف من «البز» العربية ومشتقاتها ، وهي كلمة متصلة بالماء أيضا غير بعيدة عن معناه •

هذه بعض ألفاظ وكلمات على علاقة بالمعاني الحياتية الحسية غير المجردة ،وهي الأساس في نشأة اللغة وتطورها، وقد رأينا كيف تقترب في لغتين اثنتين حتى لتكاد تكون شيئا واحدا • ولست أحب أن أورد رأيا في الأمر لا أملك الدليل القاطع عليه •

غير أن كثيرا من الدارسين قالوا ان أصل الليبيين كان عربيا أو هو على الأقل كان من سواحل شبه الجزيرة العربية الغربية وشاطىء الشام • وفي كتاب «العبر في تاريخ من غبر من العرب والعجم والبربر» يقول العالم المؤرخ العظيم عبد الرحمن بن خلدون ان موطن أغلب أقسام الليبيين الأصلي ، وهم البرانس والمادغيس ، كان سوريا وانهم كانوا ابناء مازغ بن كنعان • وابن خلدون يلحقهم ، تبعا لذلك ، بالفلسطينيين الذين لم يتركوا الشرق عندما جاء أقرباؤهم الى شمال افريقيا ، وله في هذا تفصيل كبير •

وقد سبق ابن خلدون في هذا المذهب عالم وجغرافي ومؤرخ كبير بأربعة قرون من الزمان .. ذلك هو ابن خرداذبة في كتاب «المسالك والممالك» الذي تقصى فيه المملكة الاسلامية وأقاليمها وجغرافيتها وتاريخها ، وكان قد عاش في القرن الثالث للهجرة النبوية .

فماذا يقول هذا العالم الكبير ؟

الليبيون عرب لا ريب

يقول العالم الجغرافي ابن خرداذبة في كتابه «المسالك والممالك» مشيرا الى أصل سكان ليبيا ما نصه : «وكانت دار البربر ـ وهو يعني الليبيين ـ فلسطين وملكها جالوت . فلما قتله داود عليه السلام جلت البربر الى المغرب حتى انتهوا الى لوبية ومراقية ـ يعني ليبيا ومراكش ـ فتفرقت هناك . فنزلت زناته ومغيلة وضريسة وفرسنة الجبال ، ونزلت لواته أرض برقة وهي أنطابلس بالرومية وهي خمس مدائن . ونزلت هوارة مدينة أياس ـ ويعني أويا ـ وهي طرابلس وهي ثلاث مدائن » .

هذا ما يقوله ابن خرداذبة الذي عاش في القرن الثالث للهجرة ، ويبدو من كلامه أنه كان على معرفة ببعض اللغة اليونانية من مثل تعبيره بالخمس مدائن عن «بنتابوليس» والثلاث مدائن عن «تريبوليس» أو طرابلس .

ولقد كان الحديث عن الأصل العربي لليبيين القدماء

متواترا في مؤلفات كثير من الكتاب والمؤرخين ، ومشهورا عند العديد ممن تعرض لهذه النظرية ٠

وكان البعض يرجعهم الى اليمن أو سواحل الشام ، أو هي هجرة من اليمن الى الشام فشمال افريقيا هذا ٠

فاذا ما قرأنا مؤلفات أهل الغرب وجدناهم يصرون على نفي الأمر نفيا فيه الكثير من التشكيك والدس ، معتمدين على ما يسمونه النظرة العلمية التي يكيفونها حسب أهوائهم ويسوقون الأدلة على أقوالهم تعسفا لا ريب فيه ٠ من ذلك مثلا ما يورده مؤلف كتاب People of the veil أو التوارق الملثمين ، وهو اللورد «رينيل أوف رود» فيحاول أن يعلل نظرية ابن خرداذبة وابن خلدون تعليلا سطحيا بأن من عادة المسلمين أن يوجدوا علاقة ما مباشرة أو غير مباشرة بينهم وبين عرب الجزيرة موطن نبي الاسلام (ص) تفاخرا بهذا النسب وقربى ٠

ويضيف أن كثيرا من التاريخ الأسطوري لليبيين ذي الصلة بالوطن الشرقي ربما يمكن اعتباره محاولة من جانب المؤرخين المسلمين لربطهم بأرض وجنس العرب الذين حملوا رسالة الاسلام ٠

وقد يخدع هذا الرأي البعض ٠٠ لكن ماذا يقول «رود» وصحبه حين يعلمون أن ما جاء به هذان العالمان المسلمان كان قد جاء به من قبل «بروكوبيوس القيصري»

في القرن السادس للميلاد ، أعني قبل أن يظهـر الاسلام ويبعث النبي العربي عليه الصلاة والسلام ؟

ان بروكوبيوس القيصري لم يكن يرمي بالطبع الى اثبات عروبة الليبيين ، ولم يكن يحاول تأكيد الصلة بينهم وبين أرض محمد ومبعثه ، فلقد كان ما جاء به قبل محمد بقرنين من الزمان • وفي كتابه بروكوبيـوس «تاريـخ الحروب» تفصيل هام يمكن أن يوضح الغموض وأن نرد به فرية المفترين •

أليس كذلك ؟

وشهد شاهد

في النصف الأول من القرن السادس للميلاد قال بروكبيوس القيصري في كتابه «تواريخ الحروب» رواية عن أصل الليبيين ما خلاصته : ان حربا وقعت في منطقة فلسطين ، وأن الكنعانيين اضطروا بعد هذه الحرب الى النزوح من ديارهم والهجرة الى مصر . ولما كانت مصر منذ قديم الزمان مكتظة بالسكان ولم يجدوا فيها موضعا يقيمون فيه ، فانهم واصلوا هجرتهم عبر الساحل الشمالي لأفريقيا ، فانتشروا في ليبيا وما غربها وطاب لهم المقام . قال بروكوبيوس : وقد كان هناك نصب أقامه هؤلاء الكنعانيون وكتبوا عليه جملة تفيد أنهم هاجروا من فلسطين وأقاموا في هذه البلاد . قال : ثم بعد مرور الزمن جاءت الى ليبيا دفعة أخرى من المهاجرين ـ يعني بذلك هجرة الفنيقيين الى قرطاجنة ثم صبراتة وأويا ولبدة ـ أو المدن الثلاث تريبوليس . ولقد وجد المهاجرون الجدد ترحيبا من اخوانهم

السابقين الذين أفسحوا لهم الداروأوسعوا عليهم في العيش •

غير أن الزمان لم يلبث أن أفسد ما بين الفريقين ، فنشبت بينهما حرب ضروس دفعت بالمهاجرين الأول الى الصحراء وأبقت الجدد على الشاطىء ، وبهذا انقسم السكان الى قسمين : حضر وبدو ، وهو ما استمر بعد ذاك •

هذا ما يرويه بروكوبيوس القيصري • غير أن الهجرات بين شمال أفريقيا وغرب آسيا تبدو وكأنها قديمة قدم التاريخ أو ما قبل التاريخ •

وعن هجرات ما قبل التاريخ أحب أن أشير الى ما أورده «عمانويل أناتي» في كتابه «فلسطين قبل العبريين» في الصفحة ١٩٣ من طبعة ١٩٦١ م من الشبه المدهش بين رسوم الحيوانات على جدران الكهوف التي خلفها قدماء الفلسطينين وبين رسوم الليبيين في الصحراء الليبية ، وهو يؤكد تطابقهما الكامل استنادا الى دراسته ودراسة العالم الايطالي غراسيوس في كتابه «جماعات الصيد في ليبيا» المنشور في نابولي عام ١٩٤٨ م •

ثم أشير أيضا الى كتاب العالم «ماكبيرني» الذي أصدرته له سلسلة Pelican عن حياة ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا والجبل الأخضر • فبعد أن بين ماكبيرني الشبه بين آثار الجماعات الرعوية في فلسطين والجبل الاخضر قال : «بالنظر الى التشابه الكبير بين صناعة هاتين

المنطقتين ، فلسطين وجنوب غرب آسيا من جهة والجبل الأخضر من جهة أخرى ، فان هذا الاكتشاف ذو مغزى خطير • وهو يوحي بشدة الى أنه كانت هناك درجة هامة من الاختلاط الثقافي والاجتماعي بين جنوب غرب آسيا وشمال شرق ليبيا في هذا الوقت ، متضمنا على الأقل حركة سلالية ••• وان وجود الأجناس الأسيوية في برقة بعد ذلك بقليل والسلالات الافريقية في فلسطين قريبا من ذلك العهد يظهر أنه ـ رغم وجود العائق الصحراوي ـ أمكن وجود الاتصال البيولوجي من العصر البلايستوسيني المتأخر »•

كذا يقول ماكبيرني •

بقي أن نعرف أن عمر الآثار مدار الحديث قدر عن طريق الاشعاع فزاد عن أربعين ألف سنة مما تعدون • ويا له من تاريخ موغل في أعماق التاريخ !

ابن لبدة يطارد المايتاي

في الساحة التي تربط ما بين ميدان الشهداء وميدان السراي الحمراء يرتفع تمثال كبير لرجل بسط ظله على الامبراطورية الرومانية المترامية الاطراف لثمانية عشر عاما من الزمان • وهو استطاع أن يخضع جميع معارضيه واعدائه من أقصى الفرات شرقا حتى المحيط الاطلسي وشمال الجزر البريطانية غربا ، ضاما في قبضته كل ما كان تحت حكم الامبراطورية الرومانية يومذاك • ذلك هو ابن لبدة سبتميوس سيفروس ١٩٣–٢١١ للميلاد •

لقد تولى سبتميوس الحكم عام ١٩٣ وما لبث ان انهمك في صراع حاد ومرير ضد منافسيه في فرنسا وبيزنطة وما بين النهرين لكنه استطاع بعد اربع سنوات من الحروب ان يزيحهم جميعا ويخلص له الحكم ، وهنا وجد وقتا كافيا لمحاربة القبائل البريطانية في جزرها •• فقد كانت هذه القبائل مثار متاعب لولاته هناك ، وكان عليه

أن يقود حملة بنفسه لتأديبها .

وقد عرض سير جورج ماكدونالد في كتابه «السور الروماني في اسكتلندا» طبعة أكسفورد عام ١٩٣٤ لجزء من أعمال سبتيموس سيفروس في هذه البلاد . وهو تعرض بالذات للسور الذي بناه الامبراطور ابن لبدة «من البحر الى البحر» فكان عملا خالدا يشبه من بعض الوجوه سور الصين العظيم .

يقول السير جورج مكدونالد ناقلا عن المؤرخ كيفيلينوس الذي ينقل بدوره عن المؤرخ ديو انه كان ضمن البريطانيين الذين لم يخضعوا لسيفروس قبيلتان هما الكليدونيون Calidonians والمياتاي Maetae ، وكانوا يعيشون متجاورين في بلاد ذات طبيعة صخرية جبلية لا ماء فيها ، سهولها جرداء ، خالية من المدن ، لم يبلغ أهلها المرحلة الرعوية من الحضارة بعد . وكانوا محبين للحرب متعطشين للدماء متبربرين ، وكانوا يقاتلون بعربات ومن فوق ظهور خيول صغيرة سريعة العدو .

اصطحب الامبراطور ابنيه وتسلم القيادة بنفسه ، ونقل العملية الى خاتمة ناجحة في وجه صعاب عديدة . وفي مكان ما من وراء دفاع الحدود وجد العدو متأهبا للقتال . لكن العدو لم يجرؤ على الدخول في معركة مباشرة فانهزم ، فتبعه سيفروس وسط مستنقعات يشق جنوده طريقهم عبر

الغابات يزيحون المرتفعات ويردمون البرك ويصنعون القناطر للعبور ٠

ورغم كل المشاق استطاع سيفروس أن يبلغ آخر حدود الجزيرة وأن يخضع الكاليدونيين ليتنازلوا له عن جزء كبير من أرضهم ٠ لكن السلام لم يطل فان القبيلة الأخرى وهي المياتاي لم تلبث أن تمردت وشجعت أختها على شق عصا الطاعة فاضطر سيفروس الى أن ينزل مرة أخرى بنفسه الى الميدان ٠ وبينما كان يستعد لحملته الانتقامية الرهيبة توفي في مدينة «يورك» مريضا في فبراير عام ٢١١ للميلاد ، وتسلم ابناه كاركلا وجيتا قيادة الامبراطورية الرومانية من بعده ٠

لكن سبتميوس لم يمت دون أن يترك أثرا من بعده ، بل هي آثار كثيرة ٠ وبقي له علينا حديث السور العظيم الذي بناه «من البحر الى البحر» في الجزيرة البريطانية ، وان نعرف هل كان ليبيا أم مجرد روماني ولد في بلدة ليبية ؟٠٠

سد في اسكتلندا «من البحر الى البحر»

على الرغم من الانتصارات الكبرى والفتوحات العظيمة التي تمت على يدي سبتميوس سيفروس في شتى أصقاع الامبراطورية الرومانية فانه كان يعلق أهمية فائقة على سحق القبائل البريطانية في اسكتلندا ، وهذا ما تشهد به النقود التي ضربت في آخر عام من حكمه حين يلقب فيها سبتميوس بلقب «بريتانيكوس» او «فيكتورياي بريتانيكاي Victoriae Britannicae » أي «قاهر بريطانيا» أو المنتصر عليها .

وكما كان سبتميوس سيفروس مغرما بالنصر فقد كان مغرما ببناء الجسور والسدود والأسوار . من ذلك مثلا جسره الشهير الذي لا يزال حتى اليوم على نهر الفرات بالعراق بناه حين طارد فلول خصومه في ما بين النهرين . ومن ذلك أيضا سور اسكتلندا العظيم .

يقول السير جورج مكدونالد في كتابه عن هذا السور

ما ترجمته : «ان كون الهدف الرئيسي لحملة سيفروس كانت كاليدونيا في شمال بريطانيا ، وانه نفذ بعيدا الى البرية الجبلية والمستنقعات .. لا يترك مجالا للشك في أنه بني سورا هناك» .

ولقد كان هذا السور ضرورة حربية اقتضتها الظروف ليحول دون مضايقات القبائل المتبربرة في اسكتلندا ودون هجماتها .

ثم يستعرض السير مكدونالد ما رواه المؤرخون والكتاب عن هذا السد .

فقد أورد «سبارتيان» أن الامبراطور بنى سورا عبر الجزيرة ليحميها من المحيط الى المحيط — يعنى من المحيط الأطلسي حتى بحر الشمال — وأن هذا العمل كان أعظم أعمال عهده مجدا . وروى سكستوس أو ريليوس فيكتور S. A. Victor (٦٠ م) ان الامبراطور بني سدا في بريطانيا من البحر الى البحر طوله ٣٢ ميلا .

ويكرر القول نفسه ايتروبيوس Eutropius لكن بطول مختلف .

اما المؤرخان جيروم Jerome وباولوأوروسيوس P. Orosius فيذكران أن طول الجدار كان ١٣٢ ميلا أي حوالي ٢٢١ كيلو مترا ، وهو ما يزيد عن المسافة بين طرابلس ومصراته .

ويحدد الكاتب نينيوس Nennius هذا العمل فيقول :

ان سيفروس — حتى يؤمن المنطقة التي احتلها — بنى سورا وطابية من البحر الى البحر على طول عرض بريطانيا ، يمتد ١٣٢ ميلا،وهو يدعى في اللسان البريطاني Guoul

لقد اهتم كثير من الباحثين والدارسين بسد سبتميوس سيفروس هذا ، وكان أن ألف السير جورج مكدونالد كتابا ضخما تتبعه فيه بدقة وعناية واهتمام . كما تحدثت عنه المؤلفات الأخرى التي تروي تاريخ الرومان وعصر سيفروس أو تقص أخبار الانجليز والاسكتلنديين . ولا تزال آثار هذا السور ماثلة للعيان حتى يومنا هذا تشطر الجزيرة من الشرق الى الغرب ، وكان فيما سبق يصل بين موقعين يدعيان تاين Tyne وسولواي Solway

وقد أرجع بعض المؤرخين بناء هذا السور الى الامبراطور هادريان — الذي انشأ مدينة دريانة شرقي بنغازي بحوالي سبعين كيلو مترا — لكن أغلب المؤرخين والباحثين أكد أن سيفروس هو الذي أنشأه ونفذه ، واليه ينسب ، وبه عرف واشتهر . واذا كان الرجال يخلدون بما يبنون ويشيدون فقد خلد سبتميوس بعمله هذا وبأعمال أخرى كثيرة لا تعد .

أحسب أنني أجبت عن سؤال أثرته منذ قليل ، وبقي سؤال آخر لا بد له من جواب ..

ليبي رغم أنف المنكرين

هل كان سبتميوس سيفروس مواطنا ليبيا أم هو مجرد امبراطور روماني قدر له أن يكون مسقط رأسه لبدة العظمى أو لبكس ماقنا ؟

أحسب أن هذا سؤال جدير بالاجابة عنه ، لأنه يحمل في طياته الكثير من المعاني الهامة .

ولأقل منذ البداية ان ورثة الامبراطورية الرومانية لا يستسيغون أبدا الاعتراف بأن شخصا ما ليس من سلالة رومانية حكم دولتهم كأحسن ما يكون الحكم ، وقبض على أعنته كل القبض ، فلا تتوقع ـ والحالة هذه ـ الا أشياء تبعث على الريبة والشك .

واذا كان من المعروف أنه أتى على امبراطورية الرومان حين من الدهر كان لابناء المقاطعات او الأقاليم ـ والمقصود هنا ما كان مستعمرات رومانية ـ أن يتسنموا ذرى الحكم ويقودوا الجيوش ، وذلك بعد انهيار حكم القياصرة الرومان

الخلص ، فانه يمكن الحكم منذ البداية ــ وقبل ايراد الحيثيات ــ بأن سبتميوس سيفروس كان ليبيا ولم يكن مجرد روماني ولد في مدينة ليبية •

وقد يقال انه افريقي أو هو فينيقي أو غير هذا ، لكن المفهوم على كل حال انه ليبي من لبدة العظمى •

ان الرجل الذي يعتبر أشهر من كتب تاريخ الرومان ــ وهو «ادوارد جيبون» Edward Gibbon ــ يعترف بهذه الحقيقة في مجلده الضخم (سقوط وانهيار الامبراطورية الرومانية) في الجزء الاول منه • فان سبتميوس سيفروس عنده «وطني من افريقيا Native of Africa » وليس مواطنا Citizen حتى يقال انه روماني ولد هناك • وهو يقول عنه أيضا في معرض الحديث عن طباعه : «ومثل كل الافريقيين كان سيفروس مهتما بالسحر والغيب وتفسير الأحلام والطيرة» •

ويقول «سير توماس هويلر» Sir T. Wheeler في كتابه «روما وراء الحدود الامبراطورية» ان سيفروس كان من أصل افريقي •

وفي كتاب «الرومان» لمؤلفه «بارو Barrow » يقول : ان الأسرة السيفرية التي كان موطنها الأصلي افريقيا تبدأ في سنة ١٣٩ م • لخمسة أباطرة أهمهم سبتميوس سيفروس ، وابنه كاركلا ، وسيفروس ألكسندر •

ويؤكد الباحث «وارمنغتون» Warmington. في كتابه «مقاطعات شمال أفريقيا» يؤكد بالنص أن سبتميوس سيفروس كان ـ كافريقي ـ قد اهتم بافريقيا ومدنها وخاصة لبدة العظمى .

هذا من حيث اعتراف بعض المؤرخين الغربيين المحدثين بأفريقية الامبراطور ابن لبدة ـ أو ليبيته .

حصان امحمد بن السلطان

ما أكثر أن حدثتنا الجدة العزيزة عن «امحمد بن السلطان» ، وما أكثر أن ورد خبر جواده العجيب الذي كان « نصفه جان ونصفه شيطان » ! ولم تكن عقولنا الصغيرة تستطيع أن تدرك صورة هذا الفرس المدهش ، وكنا نكتفي بغرائب أفاعيله دون أن تتعمق في ما وراء مخبره المحير .

لكن يبدو أن اصول هذا النوع من الأحصنة كانت قديمة قدم الصور الخيالية والشخصيات الأسطورية . وهي قد توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل حتى وصلت الينا مع شخصية امحمد بن السلطان الشعبية الرائعة . وأنا هنا أعني بالحديث الجواد المجنح بيجاسوس الذي قدمته لنا الأساطير اليونانية منذ أن تلقفته من التراث الليبي القديم .

وتقول الأساطير انه كانت في ليبيا جماعة من النساء المحاربات تدعى «الغرغونات» Gorgons وكانت زعيمتهن «ميدوسا Medusa » . اشتبكت في معركة

ضارية مع بيرسيوس Perseus الذي تمكن من قتلها وقطع رأسها ووضعه في جراب • قالوا فانبثق من دمها جواد مجنح حمل بيرسيوس لانقاذ حبيبته أندروميدا بعد ذلك •

ولقد تتبعت السيدة جين هاريسون J. Harrison في كتابها (الأسطورة) هذا الموضوع ومضت به الى آخر الخيط • تقول السيدة جين : ان قصة الجواد المجنح انتقلت عن طريق عباد الاله «بوسيدون» الى عالم اليونان • ثم تتساءل : من كان عباد بوسيدون هذا ؟ وكيف تم الانتقال ؟

ثم تبدأ مناقشتها من الكلمة التي أوردها هيرودوت في (تاريخه) حين قال : ان الاغريق ــ القدماء سموا آلهتهم ما عدا بوسيدون ــ «وهو الذي عرفوه من الليبيين • والليبيون وحدهم ــ دون سائر الامم ــ هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية ، وكانوا دائما يعظمون هذا الآله» •

ثم تناقش السيدة هاريسون هذا الموضوع بتفصيل كبير ، وترى أن مقالة هيرودوت صادقة تماما • ذلك لأنه على الرغم من كون بوسيدون الها للبحر عند اليونان فانه كان يظهر في صوره يمتطي فرسا مجنحا ، كما كان يبدو في بعض الكتابات على علاقة بالغابات مما يشير الى أنه في الأساس لم يكن الها للبحر والأمواج •

في رواية اسخيلاس (سبعة ضد طيبة) تصلي الجوقة :
« أي بوسيدون ايها الملك ذو الجواد المجنح !» • وفي
«ترنيمة لأبوللو» الهومرية نرى «غابة بوسيدون المشرقة» •
وليس هناك من علاقة قط بين الغابة والبحر • وعلى الرغم
من اننا لم نسمع قط أن أهل «كريت» القدماء ولا أهل
«تساليا» ولا أهل «أرجوس» كانوا راكبي خيل ، فقد
وجدت خزفية كورنثية صور فوقها بوسيدون يمتطي جوادا
ذا لجام ـ وهو عادة ليبية ـ ويدل ذيله على أنه من سلالة
ليبية • وفي ملحمة «أرجونا وتيكا» أو «بحارة الآرجو»
لأبولونيوس الروديسي يصور لقاء البحارة ببوسيدون الجواد
في ضحاضح سرت • «•• كان جواد يتطاير عرفه مع الريح
فرفس بخفة زبد البحر المالح مسخرا الريح لتجري ولتنقذ
السفينة من خطر محقق »•

ثم تضيف السيدة الباحثة : ان الخيول الليبية كانت
من الشهرة بمكان لا تنازع فيه وظلت على هذه الشهرة
حتى بعد مجيء اليونان بقرون •

لقد كان بوسيدون الها محترما مبجلا في عالم اليونان
القديم ، وكان يلي في المرتبة «زيوس» رب الأرباب •وكانوا
قد نقلوه عن الليبيين فيما نقلوا عنهم •

ولعل بيجاسوس ـ الجواد الأصل في الأسطورة
والعبادة ـ يفسر لنا منشأ حصان محمد بن السلطان العجيب•

نهر النسيان

من منا لا يريد أن ينسى أحزانه ويمسح أساه ،ويتطهر من الادران والهموم ؟•• ومن منا لا يتمنى أن ينظر في صفحة ماء رقراق ثم يلتفت فاذا بكل ما يثقل كاهله قد امحى وذاب كأن لم يكن ذات يوم ؟••

ان نهر « الليثي » يحقق ذلك ويزيل عن النفس الكدر •

هذه ليست دعاوة سياحية بقدر ما هي واقعة كان يؤمن بها الاقدمون •

وعلى بعد بضعة كيلو مترات من بنغازي ـ في طريق مطار بنينة ـ وفي حرم الكلية الملكية العسكرية يوجد كهف كبير ينزل في الارض عمقاً ، تصل المرءبأسفله درجات سلم صخرية • فاذا ما بلغ القاع وجد أمامه نهرا أرضيا يجري ، وتجويفا على اليمين يتدفق فيه الماء الى ما لا نهاية والفى نفسه في جو أسطوري يوحي بالطمأنينة والهدوء •

ذلك ما يسمى نهر الليثي .

والليثي Lethe أو الليثون Lethon كلمة يونانية تعني « النسيان » . ذلك لأن الأقدمين كانوا يؤمنون بأن الارواح اذا ما فارقت الاجساد كان عليها أن تهبط الى باطن الارض بدل الصعود الى ملكوت السماء. كانوا يسمون باطن الارض « الهيدس » Hades ، وكان يحكمه الآله « بلوتوس » Plutus ، لكن الأرواح لم تكن بمستطيعة أن تدخل هذا العالم دون أن تتطهر ، أعني أن تنسى جميع ما مر بها في الحياة ، وان تتخلص من الشوائب الدنيوية . وكان ذلك يتم عن طريق مرورها بنهر الليثي هذا الذي تتحدث عنه ، وأن تشرب من مائه ، ولست ادري كيف تشرب الارواح — فيتحقق لها من بعد ذلك الخلاص .

هذه كانت عقيدة اليونان وما انضوى تحت حضارتهم من شعوب . ولما كان القوم واقعيين في عباداتهم ، فقد حددوا المكان الذي تهبط اليه الارواح . وقالوا انه يقع بالقرب من جنات الهسبريدس . وكان موضع هذه الجنات هو الكلية العسكرية الآن قرب بنغازي .

وفي كتاب (بنغازي قصة مدينة) للبحاثة « جود تشيلد » يرى أن اليونان ربما كانوا يحجون الى هذا الموقع ويزورونه تبركا وقربى . وهو قد حلل القضية

بشيء من التفصيل ، وربط بين نهر النسيان وجنات الهسبريدس وبحيرة تربتونيس •

ولقد استند جود تشيلد في تعيين موقع النهر والجنات والبحيرة الى ما خلفه لنا بعض الكتاب الأقدمين• منهم مثلا الكاتب اليوناني « أثيناوس » ، والكاتب الروماني «لو كان» ، والجغرافيان الشهيران «بطليموس» و « سترابو » • وهم جميعا يقولون ان نهر الليثي — أو النسيان — كان عند بنغازي ، ولهم في هذا حديث طويل •

ان معبد « دلف » في اليونان مثلا اشتهر رغم قيامه على أسس أسطورية ، وفي كل عام يزوره الملايين من السواح وتستفيد منه البلاد دعاوة ومالا • ولا يقل الليثي شهرة عن معبد دلف أبدا وعلينا ان نعرف كيف نستفيد منه كما استفاد الاخرون •• ولعل هذا الامر يتطلب حديثا أوفى شرحا وأحكم تبيانا •

الجدول السحري

اذا كان من الثابت ان الاقدمين حددوا موقع نهر النسيان في جنان الهسبيريدس عند بنغازي ، وكانوا يحجون اليه ويزورونه ، فان هذا النهر كان بالنسبة للشعراء منبع وحي لا ينضب ، مثلما كان بالنسبة للعبادة والاسطورة .

شعراء من اليونان والرومان والطليان وآل سكسون وغيرهم كثير . كان الليثي يمثل دنيا زاخرة بالغرائب والاعاجيب .

فلنقرأ ما يقوله الشاعر الروماني الشهير « أوفيد » Ovid في نهر النسيان .

هو ينشد قائلا :

« ذراع الليثي ينساب في هدوء

تعلو من الصخرة السفلية ..

ومن خنادق القصر السحري ،

تتدحرج من تحته الحصباء .
يدعو خريره العذب النوام القادمين .
وعلى مدخله ينحني نبات الخشخاش
وأعشاب الكرى الحلوة ..
يأتي الليل ، فيمتص عصارتها
يبعثرها ، عابرا ، على السهول الصامتة .
لا باب يحفظ البيت الآمن ..
وعلى مفاصله الجدولية يدور ،
ليوقظ من سباتـه ملك الكرى » .

هذا شاعر قديم يتغنى بالليثي ويشدو . ويستمر الشدو الغناء حتى اذا ما بلغنا عصر النهضة وجدنا شاعر ايطاليا الكبير « دانتي أليغيري » يتحدث عن قصته مع نهر النسيان في قسم « المطهر » من « الكوميديا الالهية »

يقول دانتي :

« هناك أسفل . مكان لا يعرف بالنظر ،
ولكن بخرير جدول يهبط هنا خلال
فتحة الصخرة التي نحتها بالجريان ..
دخلت ودليلي ذلك الطريق الخفي ،
لكي نعود الى عالم الضياء .
وأنظر ها قد حال جدول عن متابعتي السير ،
وأمال الى اليسار بأمواجه الخفيفة

ما نبت على ضفتيه من أعشاب •
وبقدمي وقفت ، وبعيني تجاوزت الجدول ،
لكي أتطلع الى الالوان الزاخرة
من أغصان الربيع المزدهرة النضرة »

وفي العصر الحديث نجد شعراء آخرين يأخذون من الليثي رمزا أو معنى ، أو الهاما ووحيا •

وقد ذكره شاعر الانجليز الخالد « شكسبير » في مسرحيته الذائعة الصيت « هاملت » ، وكذلك فعل « كيتس » في « القصيدة المخبولة » و « تشارلزليم » في قصيدة احلموا ايها الاطفال و « توماس كامبل » في مقطوعته « الغيبوبة » وتابعهم في ذلك كثيرون •

ما اجمل أن نهتم بمظاهر الفن البديع ونعتني بمعالم السياحة والزيارة وأن نبرزها في أبهى حلة وأزهى ثوب •• والسياحة فن تشويق واثارة قبل أن تكون شيئا آخر ، ونحن والحمد لله نملك في وطننا من هذا الشيء الكثير •

جنان الهسبريدس

عندما يذكر الناس « نهر النسيان » ، فانهم لا ينسون ما كان يحف به من جنات . كان النهر يقع في منطقة نمت أشجارها ، والتفت أغصانها ، وتشابكت فروعها ، حتى غدت فردوسا على وجه الارض . وكان هذا الفردوس يقع في أبعد مكان غربا عرفه اليونان القدماء .. كان يقع في « الهسبير » Hesper أو بلاد « الهسبيرتاي » أي أهل الغرب .

وقد ظل هذا الاسم معروفا حتى اذا ما انشأ أهل قورينا خامسة المدن الخمس في برقة ـ والتي هي بنغازي اليوم ـ سموها الهسبيرديس ، وتعني سيدات الغرب ، واستمر عالقا بها حتى عهد البطالمة حين سميت « بيرنيكي » Berenece ومعناها « جالبة النصر » ، وتحولت بعدها الى « برنيق » عن طريق التعريب .

ومهما يكن من امر فان ارتباط الليثي بجنات

الهسبريدس أمر معروف يتداوله الكتاب والمؤرخون • وقد اشتهرت هذه الجنات بأنها كانت مقر ثلاث تفاحات ذهبية كانت الربة « جي » Ge قد أهدتها الى زميلتها « هيرا » Hera بمناسبة زواجها من زيوس Zeus رب الارباب •

وقد عينت هيرا ثلاث حوريات ، أوهن عرائس ، كن يحرسن هذه التفاحات الذهبية الثلاث ، ويقمن بشئونها ، يعاونهن في هذا تنين ضخم لا ينام أبدا هو « اللادن » Laden غير أن الآلهة اليونانية لم تكن تترك عبادها دون مداعبة في كثير من الاحيان • ولذا فقد كلفت البطل الجبار هرقل أن يحضر هذه التفاحات العزيزة ضمن اعماله الاثني عشر المشهورة • وكان على هرقل أن يحضر الى بنغازي — اعني الهسبيريدس — ويشتبك في صراع مرير مع التنين الحارس ليسلبه التفاحات •

لقد حاول هرقل الجبار بكل قوته أن ينتصر على اللادن ، لكنه لم يفلح ، فأوحت اليه الآلهة أن يرفعه عن أمه الارض ، فلما فعل هرقل ذلك خارت قوى اللادن وتهاوى ، وفاز هرقل بما يريد •

لكن الارباب لم تلبث ان اعادت التفاحات الذهبية الى موضعها شفقة على عرائس الجنات الباكيات اللائي ظللن ينتحبن ويجهشن بحرقة لا تعادلها حرقة • فعاد الى

العرائس الحبور ، وعادت الجنات ترفرف عليها ظـــلال السعادة والهناء .

هذه خلاصة ما يروى من قصص وحكايات عن جنات سيدات الغرب وهي معروفة مشهورة في أغلب الكتب التي تتحدث عن آلهة اليونان وعباداتهم واساطيرهم وابطالهم .

وفي ملحمة « بحارة السفينة آرغـو لأبولونيوس » الرودسي التي ترجمها الـى العربية الاستاذ امين سلامة ونشرت في كتاب تروي مغامرة هرقل بعد أن انفصل عن البحارة ، وكيف التقى به بقية الابطال الارغو عند جنات الهسبريدس ، بعد عبورهم مخاطر سرت وبحيرة تريتونيس .. مما يؤكد ان موقع الجنات كان عند الاقدمين في مكانها الذي أشرت اليه .

في قصيدة بعنوان « الهسبيريدس » يقول الشاعر الانجليزي « تنسون » مخاطبا العرائس الحارسات والتنين لادن :

« ها هي التفاحة الذهبية
ثمرة مقدسة مباركة ..
أحرسوها بيقظة
واشدوا لها حلو الغناء .
تحت جذعها الفتان ،
كـل مـا حوله ساكن .

واحـــذروا ..
ان لم تغنـوا بطرب
وان غنيتـم نشازا
فستضيع منـا المتعة الابدية !
راقبوا الكنز الجميل ..
وكونوا أبـدا على حذر » !

أحسب أن نصيحة تنسون يجب أن تؤخذ بعـين الاعتبار .. في كل زمان ومكان ، وبالنسبة لكل ذهب !

انيكريس القوريني يحرر العبد

ألا توافقونني على أنه ما من كلمة أشهر استعمالا وأذيع صيتا في عالم الفلسفة والعلم والفن والأدب من كلمة «الاكاديمية» ؟

لقد صارت هذه الكلمة وحدها تحمل في طياتها جملة من المعاني ذات الوزن • الثقيل ، فنحن نقول : هذه دراسة أكاديمية ، وهذا رجل أكاديمي ، ومبنى أكاديمي ، للدلالة على الصلة بالعلم العميق والمعرفة المتخصصة •

وهي كلمة ـ كما هو معروف ـ أخذت من «أكاديمية» افلاطون الفيلسوف اليوناني الأشهر ، حين أسس مدرسته المعروفة في بستان البطل أكاديموس بالقرب من أثينا ، فسميت المدرسة بالاكاديمية، ثم انتشر الاستعمال حتى باتت صفة ونعتا لكل ماله صلة بالعلم والدراسة والبحث •• أيا كان وفي أي ميدان •

ولقد بلغت أكاديمية أفلاطون من التأثير حدا لم

تشاركها فيه مدرسة أخرى ، حتى ليقول مؤرخ «بيرنت» في كتابه (الفلسفة اليونانية) : ان تأسيس الاكاديمية لم يكن أهم حدث في حياة أفلاطون فحسب ، بل في تاريخ العلم الأوروبي كله .

ثم انبثقت عن الأكاديمية تلك المدارس المعروفة في الفكر ، والتي صاغت فكر العالم بعد ذلك .

هذه المقدمة لا بد منها لأبين عن خبر هام في هذا السبيل . ذلك أنه لولا رجل من قورينا في الجبل الأخضر بليبيا الشرقية ، لم تكن هذه المدرسة لتنشأ ، بل لم يكن ليصلنا علم أفلاطون وفلسفته وتلاميذه من بعد . رجل من شحات ـ ان شئتم ـ هو الذي أنشئت بماله الأكاديمية، بعد أن أعتق أفلاطون من الرق ، وحرره من العبودية .

كانت قورينا تعج في القرن الرابع قبل الميلاد بمجموعة هائلة من العلماء والمفكرين ، كان من أشهرهم «ثيودروس» الرياضي العظيم ، و«أرستبوس» الفيلسوف . وكان افلاطون قد زارها قادما من مصر ليتتلمذ على يد ثيودروس ويأخذ عنه الرياضيات .

ثم خطر له بعد أن أنهى تلمذته أن يقصد صقلية وينزل في بلاط حاكمها «ديونيسوس» . لكن خلافا حدث بين الرجلين قبض بعده ديونيسوس على أفلاطون وسلمه لاعدائه عبدا يباع ويشترى .

ويقول عالمنا العربي أبو يوسف القفطي في كتابه (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) ان ديونيسوس أمر بقتل أفلاطون في البداية ، فأخذه «بوليذوس» عدو أفلاطون وذهب به الى «أجينا» مدينته وأبقى عليه ولم يقتله وان ظل رقيقا على كل حال .

جاء رجل من قورينا يدعى «أنيكريس» وكان هذا الرجل يحب أفلاطون ويتشبه بأخلاقه . فاشترى أنيكريس القوريني أفلاطون من مسترقيه .. وكان الثمن الذي ابتاعه به ٣٠ قنا فضة . كذا يقول القفطى .

هكذا صار أفلاطون ، ذلك الشريف الفيلسوف ، عبدا يسام وينادي عليه النخاس ، وكان من حسن حظه أن وقع في يد رحيمة تحبه وتقدره حق قدره ، تلك التي اشترته بثلاثين قنا فضة ليس غير .

وكان أن اسدت هذه اليد القورينية فضلا لأفلاطون والانسانية لا ينسى أبدا .. فضلا هو أحرى أن يزهى به على مر الأيام !

اتق شر ...

قلت ان انيكريس القوريني افتدى أفلاطون في سوق الرقيق في جزيرة أجينا ، مسقط رأس أفلاطون ، التي كانت على عداوة مع أثينا يومذاك . وهذا هو ما يذكره الأستاذ يوسف كرم في مؤلفه «تاريخ الفلسفة اليونانية» أيضا .

ولقد كان أفلاطون قد استمال ، وهو في سراكوزة بصقلية ، صهر جبارها ديونيسوس ، ويدعى «ذيون» ، وأثر فيه تأثيرا كبيرا . فلما عرف بفعلة صهره لم يستطع صبرا ، وعز عليه ولم يمكنه مجاهرة الجبار . قال القفطي : «فسير في السر ثمن أفلاطون وهو ثلاثون (منا) الى القوريني مبتاعه ، وسأله بيعه منه ، فلم يفعل القوريني ذلك » . وكانت لحظة رائعة من لحظات الشهامة والكرم ، وحب الفلسفة والعلم . فقد أنف أنيكريس القوريني أن يقبض مالا من صهر الجبار الذي لا يحترم المفكرين ، وقال كلمة هي من خوالد الكلمات : «ان هذا حكيم مطلق لنفسه،

وانما وزنت المال لأنقذه من أسره ، وسيصير الى بلاده في سلامة وخير »!

هنا لم يجد صهر جبار سراكوزة عملا أفضل من أن يستخدم مال القوريني الذي تنازل عنه في عمل يرد به الى أفلاطون كرامته ويسترضيه • فسير الثمن واشترى بـه بساتين الأكاديمية «ووهبها لأفلاطون فمنها كانت معيشته مدة حياته» •• وفيها بنيت الاكاديمية من مال دفعه أنيكريس القوريني انقاذا لأفلاطون من الرق •

قال القفطي : « ولما تحقق جبار صقلية من خلاص أفلاطون وسلامته ندم على ما فعل وتحيل في استصلاحه ، وكتب اليه يستميله ويعتذر اليه من فعله ويسأله أن لا يذكره بشر في خطبه وأشعاره • فأجاب أفلاطون بأن قال : ليس عندي هذا الفراغ ولا يمكنني أن أتفرغ له ولا أجد زمانا خاليا أذكر فيه ذيونيسوس •

كان جوابا أريبا بلا ريب • فان أفلاطون لم يذكـر الحادثة قط في كتبه ، لا لاهماله الجبار ولكن خشية أن تلصق به مهنة العبودية والرق ، وهو الذي أحل الرق في جمهوريته المشهورة •

ويستغرب بيرنت في كتابه «الفلسفة اليونانية» مـن سكوت أفلاطون عن هذه الواقعة وهو يلتمس له عذرا في خشيته علوقها به وبسيرته • لكن الواقع أن أفلاطون تعمد

اغفالها تعمدا لا يخفى ، بل زاد فكان حربا على مفكري قورينا وعلمائها ، وكان شديد الطعن فيهم أبدا .

وقديما قالوا :

«اتق شر من أحسنت اليه» !

الذهب الاخضر

اتفق الناس على أن ينعتوا الذهب بأنه أصفر ، ويزيد بعضهم فيقول : الذهب ذلك الأصفر الرنان ؟! لكن اتضح للناس من بعد أن الذهب ليس دائما أصفر ولا رنانا .

قد يكون أبيض مثلا ـ المراد هنا القطن الذي يأتي في بعض البلاد بالخير الوفير ـ وقد يكون سائلا أسود ـ والمعنى في هذه الحالة النفط أو البترول . لكن هل سمعتم عن ذهب أخضر ؟!

نعم .. لقد كان الذهب أخضر ذات يوم . كان السلفيوم ذلك الاكسير العجيب التي تميزت به ليبيا الشرقية وانبنت حضارة قورينا عليه . وعندما يمر أحدكم بميدان ٩ أغسطس في بنغازي ، أمام مدخل الجامعة الليبية، فليرفع عينيه الى النصب المقام وسط حديقة صغيرة ولير نموذجا برونزيا مجسما لهذا النبات الذي لم يكن يعادله نبات آخر في الشهرة والفائدة والنفع .

لقد كان السلفيوم عماد ثروة قورينا وأساس ازدهارها وكانت الدولة تحتكره وتصدره الى مختلف أنحاء العالم القديم . وقد وجد قدح في «لاكونيا» ببلاد الاغريق صور عليه الملك أركسيلاس ـ ملك قورينا ـ وهو يشرف بنفسه على وزن السلفيوم وتعبئته ، فقد كان هذا النبات يباع بوزنه فضة وكان للفضة وزنها يومها .. فلم كان ذاك ؟ كان لان السلفيوم كان علاجا لكل مرض وبلسما لكل علة ، فكان يشفي أربعين داء وداء كما يقال .

وقد نوه العلماء والأطباء بفوائده الجليلة واستعمالاته العديدة . وكان جالينوس يذكر أنه يعالج نشاف الرأس وينتج الحرارة . ويقول ديوسكوريدس انه يثير الرطوبة على الجسم ، وأوصى به في حالات الصلع وأمراض العيون ووجع الأسنان وعضة الكلب والجروح والنزلة الشعبية .

أما بليني الأكبر في كتابه «التاريخ الطبيعي» فهو يصفه للبرداء (الملاريا) ، وآلام الأعصاب ، والثآليل ، وعسر الهضم ، وضد سموم الأسلحة والأفاعي والعقارب ،ولتورم الاصابع وتشققاتها ، والكحة ، وأمراض اللهاة ، ويوصى به في حالات الصفراء المزمنة ، والاستسقاء ، والبحة ، ولذات الجنب ، وتقلص العضل ، ومرض الكزاز أو التيتانوس . ولكل مرض يخطر أولا يخطر على بال .

كان السلفيوم معروفا في كل كتب الطب بدءا من

جالينوس ومن جاء بعده ، وكان منبته الخاص به هي سهول الجبل الأخضر ، وكانت تروي حكايات عجيبة عن هـذا المنبت وعن هيئة هذا النبات • ثم انقرض وغاب في أعماق التاريخ ولم يبق سوى ذكره في الكتب •

اثمن نعم الطبيعة

عندما نذكر السلفيوم فان هذا يذكرنا بمجموعة من العقاقير أو المركبات الكيماوية التي تعالج الكثير من العلل وتقضي على الجراثيم ، أعني ما يسمى «مركبات السلفا» أو التي هي في بعض اللغات «السلفامديش «Sulfamedici» ولعل بين الاسمين صلة ما ، فان لكليهما فوائده التي لا تعد ولا تحصى .

وأنتم تعرفون الحلتيت ـ أو هو الحلتيته أو البوكبير ـ ولعل بعضكم يدرك كيف يستعمل في الوصفات الشعبية وكيف يزيل بعض الأوجاع . بهذا الاسم نفسه عرف العرب عصير السلفيوم ، فهو عندهم الحلتيت . ذلك أن هاتين المادتين كانتا في الأصل عصارة تستخرج من نبات . لكن الحلتيت كان أنواعا منها الفارسي والأرمني والميدي ، غير أن أفضله القوريني بلا شك .. هذا لأنه كان طيب الرائحة مستساغ المذاق .

ذكر السلفيوم أبو بكر الرازي الطبيب المعروف وأوصى به ، وذكره ابن البيطار الأندلسي في فصل طويل ، في كتابه «الجامع لمفردات الأغذية والأدوية» وكذلك فعل من قبل الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في كتابه الفريد «القانون» . يقول العالم الفيلسوف الطبيب ابن سينا في « قانونه » . عند حديثه عن الحلتيت ، وهو يعني عصير السلفيوم :« والحلتيت الذي يجلب من قورينا اذا ذاق منه اللسان فانه في الحال يظهر في البدن كله شيء مثل الحصف، ورائحته ليست بكريهة ... وقد ينبت ببلاد لوبية ـ يعني ليبيا ـ شيء شبيه بأصل شجرة الأنجدان الا أنه أدق منه ... وبالجملة الحلتيت صنفان ، منتن وطيب .. وأسخنها الطيب وهو أشد نارية في جميعه، وأكثر هذا النوع القوريني» . ثم يعدد الأمراض الذي يعالجها بتوسع كبير .

ومع حديث الرئيس ابن سينا كتب عن السلفيوم الطبيبان علي بن العباس المجوسي ، وأحمد بن محمد الغافقي ، ثم عرفت خبره أوروبا عن طريق البندقيةوتجارها ، واشتهر عند أطباء العصور أيما اشتهار .

لقد ظل السلفيوم موجودا كما يقول المؤرخون حتى عصر نيرون ـ حارق روما ـ في القرن الأول للميلاد .وكان نادرا يومها ، وكانت فرحة القوم شديدة حين وجدوا ساقا واحدة منه أرسلوها معززة مكرمة الى الامبراطور المجنون

هدية غالية •

ولم لا ؟ فقد كان هذا النبات السحري وعصيره الاكسيري أثمن ما يهدى ويقدم لعلية القوم •

في قصيدة الشاعر الروماني «كاتللوس» يقول مغنيا لحبيبته «لسبيا» :

« ما أروع أرضك يا ليبيا ، وما أكثر مباهجها !
هناك يجود السلفيوم بعصيره في قورينا ••
وهناك معبد آمون المثير ،
وهناك قبر باتوس المقدس العريق •»

كان كاتللوس يعرف كيف يثير الخيال ، ويهيج العواطف ، ولم يجد لهذا خيرا من أرض ليبيا ومباهجها وسلفيومها •

ولقد صدق بليني الأكبر حين قال : «لعمري ان عصير السلفيوم ليعد من أثمن نعم الطبيعة !»

النبات العجيب

ان حديث السلفيوم متصل الحلقات لا يكاد ينقطع ، وهو بما يحمله من معان في مجال عالم النباتات والطب والحضارة والتاريخ والواقع والأسطورة يلهب روح البحث والدراسة والتحقيق •

ولعل هذا هو ما دفع رجلا عالما مثل الاستاذ «شالمرز جميل» Gemell من جامعة جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية الى أن يطير من تلك البلاد القصية الى ليبيا ، ويقضي في منابت السلفيوم المذكورة قديما ردحا من الزمن ، ثم يقصد بعدها بلاد أرمينيا وفارس والهند ليقارن بين النباتات الشبيهة بوصف السلفيوم في تلك المناطق ، يعود بعدها الى ليبيا مرة أخرى ينقب في رسمة على نقود قورينا ــ حين اتخذته لها رمزا ــ ومنها الى لندن ليقارن بين ما رآه وبين نقش لهذا النبات العجيب وجد على خاتم برونزي محفوظ في المتحف البريطاني • ثم يؤمم شطر

حدائق «كيو» الملكية البريطانية الشهيرة ليشهد نباتا آخر قيل انه من نفس الفصيلة . ثم يؤوب بعدها الى وطنه ، ولاية جورجيا ، ليكتب بحثا ممتازا في مجلة «تاريخ الطب» في المجلد التاسع منها ، العدد الرابع لشهري يوليو وأغسطس من عام ١٩٦٦ م.

اهتمام ليس بعده اهتمام . ولعمري ان هذا المثل يجب أن يحتذى في مجال الدراسة العلمية المحققة الواعية بمسئولياتها في كل مجال .

وقد تتبع السيد جميل في مقالته الممتعة التي تقع في ما يقرب من عشرين صفحة من القطع المتوسط أغلب ما يمكن أن يقال عن السلفيوم ، من منبته الى انقراضه .

في السنة السابعة قبل انشاء قورينا ، والسنة الثالثة والاربعين بعد المائة من انشاء روما ، أي في سنة ٦٣٨ق.م - يقول بليني الاكبر - هطلت الأمطار بشدة وغزارة حول حدائق الهسبريدس وخليج سرت . كان المطر كأفواه القرب .. كاد يصبح طوفانا . ثم توقف ، واصطبغت الأرض في هذه المنطقة بلون القار وتشبعت بالماء حتى غرقت .. ثم من بعد هذا ظهر السلفيوم على وجه الأرض.. هكذا نباتا سحريا دون زرع ولا بذر . وكان عصيا على الاستنبات ما حاول أحد أن يزرعه الا فشل ، فقد كان يفضل البراري الحرة الطليقة على أن تعبث به يد انسان .

واستمر الحال ثمانية قرون من الدهر ، حين انقرض ولم يعثر له على اثر .

قال البعض : انه انقرض حين كثر استغلاله وتهافتت الدنيا على طلبه ، وقال آخرون : انه اختفى نتيجة رعي الأهالي قطعانهم في سهوله ، فقد كان يكسب الدواب شحما ويدر منها لبنا ويجعل من لحمها أطيب اللحوم .. تماما كما نعرف اليوم عن الخراف الوطنية وعن لذة لحومها . وقال آخرون : لقد قضى عليه الوطنيون انفسهم نكاية في السلطة الرومانية التي كانت تحتكره يومذاك ولم يصب منه اهل البلاد خيرا . يقول بليني : انه حدث في عهد قنصلية « قايوس فاليروس » و « ماركوس هيرونبوس » أن استوردت الحكومة الرومانية ثلاثين رطلا من عصير السلفيوم حكرا خاصا بها .

وكان يوضع في الخزينة العامة للامبراطورية ، حتى أن «يوليوس قيصر» في القرن الأول قبل الميلاد احتاج الى أن يسحب من الخزينة مالا لدفع نفقات جيشه ، فكان أن سحب ــ مع الذهب والفضة ــ ألفا وخمسمائة رطل من السلفيوم يستعين بها في تدبير أموره وموازنة أحوال الجيش .

كان السلفيوم يعادل ما نسميه اليوم بالأرصدة الدولارية أو الاسترلينية .. كان هو الغطاء الذهبي لعملة الدولة .. غير أنه لم يكن يتأثر بالمضاربات ولا أسعار البورصات !

الجراب

حين عثر الأثريون على زهرية في حفريـات مدينـة «كورنثة» باليونان ، وجدوا «بيرسيوس» ــ الذي مـر ذكره متصلا بالجواد المجنح ــ وقد صور على الزهريـة وهو يدافع الوحش عن حبيبته «أندروميـدا» بقطع مـن الحجارة يلقيها عليه • والى جانبه كوم من الحجارة تمده أندروميدا منه كلما فرغ ما بيديه • وكان عليهم أن يفسروا سبب استخدام بيرسيوس للحجر دون سواه سلاحا يرد به عن نفسه ومحبوبته • لم لم يكن السلاح سيفا أو رمحـا أو سهما ، وقد كان قادرا على أن يفعل ؟

وبعد المقارنة واعمال الفكـر أدركوا أن مغامـرة بيرسيوس هذه كانت في ليبيا ، وأن طائفة من الليبيين كانت أمهر خلق الله في استخدام الحجارة سلاحا لها • وما دام الامر كذلك ــ ولاضافة مسحة من الجو الذي جرت فيه المغامرة ــ كان لا بد للبطل من أن يستخدم نفس السلاح

الذي يعرفه القوم . ولعلها نفس الفكرة التي جعلت من «طرزان» بطل الغابات ، رجلا قليل اللباس عديم السلاح ، اللهم الا ما تقدمه الغابة له من جذوع وأغصان .

ومهما يكن الأمر فان ديودروس الصقلي في مؤلفه «المكتبة التاريخية» ذكر في جملة ما ذكر أنه كان من الليبيين : الزراع المستوطنون ، والبدو الرحل ، وطائفة ثالثة أقل تطورا من هاتين الطائفتين . وفي حديثه عن أسلحتهم قال ديودروس :

« ان أسلحتهم تلائم كلا من طبيعة البلاد ونمط حياتهم . فلما كانوا خفيفي الأجسام ، يسكنون أرضا هي عبارة عن سهل مستو في جزئها الأكبر ، فانهم يواجهون ما يحدق بهم من أخطار مسلحين بثلاث رماح وحجارة في أجربة من الجلد . وهم لا يحملون سيفا ولا خوذة ولا أي سلاح آخر ، فان غايتهم أن يتفوقوا على عدوهم في سرعة الحركة عند الكر والفر . لذا فقد برعوا في صقل الحجارة وقذفها ، وساروا بالمزايا التي وهبتهم الطبيعة اياها الى الغاية القصوى بالدربة والعادة ».

ثلاثة أشياء اذن كانت عماد حرب هذه الطائفة : الرمح ـ وهو السلاح التقليدي القديم ـ والسرعة ـ وكانت طابع كل شيء في هذه البلاد الشاسعة المترامية الاطراف ، ولم يكن يباري سرعة الخيول الليبية الا سرعة رجالها ، حتى

يتمكنوا من مباغتة عدوهم والانقضاض عليه أو الانسحاب العاجل ــ يفوق انسحاب روميل المعروف ــ عند الحاجة اليه . وثالثها ذلك الجراب الذي ملىء حجرا صوانا يقذف كأنه قنابل الهاون أو البازوكا فلا يبقى ولا يذر !

كان ذلك الجراب الليبي القديم يدعى «كوبيسيس Kybisis » وقد خلد هذا الاسم في التاريخ وتاريخ الأدب بالذات ، حين وصلت عن طريق الاسكندرية مجموعة من القصص على لسان الحيوان تشبه كثيرا مجموعة «كليلة ودمنة» كان اسمها «حكايات كوبيسيس الليبية » !

حكايات كوبيسيس الليلية

من منا لم يستمتع بتلك المجموعة البديعة من قصص « كليلة ودمنة » ، وما تحويه من حكم ومعان تدور كلها على ألسنة الحيوانات ؟ والذين قرأوا الشعر الفرنسي ــ في لغته الأم أو مترجما ــ لا بد انهم عرفوا كيف اتخذ شاعر فرنسا (لافونتين) من الحيوان الأعجم شخصيات لشعره القصصي ينطقها كيف شاء ويضع في أفواهها درر الحكمة الغوالي .. تماما كما فعل شاعر العربية الكبير أحمد شوقي بعد ذلك في العصر الحديث .

من هذا النمط نفسه كانت مجموعة « حكايات كوبيسيس الليبية » تلك التي ظهرت في الاسكندرية في القرن الأول وترجمت الى اللاتينية بعد ذاك .

يقول الاستاذ « وايت دف W. Duff » في كتابه المعروف بـ « تاريخ أدبي لروما في العصر الذهبي » ان هذه الحكايات ظهرت في الاسكندرية ممتزجة بحكايات

من الهند وسيلان ، ثم تفردت باسمها الخاص في القرن الاول بعد الميلاد حين انتشرت انتشارا عظيما • وفي عهد « ماركوس أو ريليوس » ـ الامبراطور الفيلسوف وصاحب القوس الشهير بطرابلس ـ نقل رجل أديب شاعر هو « نيكوستراتس » ـ خطيب البلاط ـ هذه المجموعة الى اللاتينية ومزج بينها وبين مجموعة قصص اليونانية في هيكل واحد •

قال السيد « دف » : وعندما ألف « فلافيوس أفيانوس » في القرن الرابع بعد الميلاد مجموعته « الحكايات الاثنتان والاربعون » شعرا غلب عليه العنصر الليبي أكثر ما غلب • ونحن نعرف أن قصص أفيانوس هذه كانت تدرس للتلاميذ الصغار في العصور الوسطى ـ كما كان يسمعها الكبار بالطبع ـ وقلدت على نطاق واسع من قبل المؤلفين نثرا وشعرا وراجت سوقها رواجا عظيما • وبهذا كانت « حكايات كوبيسيس الليبية » تنافس دون ريب قصص « ايسوب » و « كليلة ودمنة » التي أخذها اللاتين عن طريق العرب عن الفارسية بعد الهندية •

وبمساعدة هذه المجموعات القصصية الثلاث غمر العصور الوسطى وعصر النهضة في أوربا طوفان من تقليدها ، حتى بلغ « لافونتين » الشاعر الفرنسي الشهير كما قلت ، وكانت أقاصيص الشاعر الفرنسي الشعرية على

ألسنة الحيوانات أبلغ معبر في هذا المجال •

ولعل أحدكم يسأل الآن : هل من مثل يمكن أن يوضح هذا الكلام ؟

واعتذر بانني لا أملك في الوقت الحاضر الا رأس الخيط وبداية الموضوع ، أرجو أن ييسر الله لهما من يتتبع ويبين ما غمض ، والا بعض الاشارات أحب أن أثبتها في هذا الحديث ، اذ يبدو ان أصل هذه الحكايات قديم ككل شيء في هذه البلاد • ذلك ما يثبته التراجيدي اليوناني المعروف «أسخيلاوس» في القرن السادس قبل الميلاد حين يقول في مقطوعة له بعنوان « النسر الجريح » معبرا عن نسر أصابه سهم في نهايته ريشة نسر آخر فعلم أن ما أصابه كان لجنسه دخل فيه •

يقول أسخيلاوس في هذه القطعة :

« هاكم القصة التي تروى في الحكايات الليبية

عن نسر أصابه سهم من قوس •

قال حين رأى الشيء المجنح الخبيث :

(ليس اذن بالآخرين •• بل بريشنا نحن نؤخذ !)

ولقد أورد هذه المقطوعة القصيرة المعبرة كذلك الشاعر « أرستوفان » في مسرحيته المعروفة « الطيور » •

مجرد مثل عن « حكايات كويسيس الليبية » ولعل هناك غيرها كثيرا من الأمثال .

أرملة أويا الطروب

ما دام حديث الأدب اللاتيني القديم قد ورد ، فلا بأس من الاشارة الى بعض شخصياته وطرائفه مما له علاقة بالموضوعات التي خصصت لها هذه الحلقات ... ويهمنا منها شخصيتان ، أولاهما ذلك الشاعر الكوميدي اللاتيني الشهير الذي ذاع صيته في القرن الثاني قبل الميلاد ، أعني « تيرنتيوس آفريبليوس » المعروف في اللسان الانجليزي باسم « تيرنس Terence » . وقد كان في بداية أمره عبدا لسناتور روماني أتى به من قرطاجنة ، وأتيحت له فرصة التعليم الممتاز ، صار بعد ذلك حرا ، واقتحم ميدان التأليف المسرحي ونالت مسرحياته شهرة واسعة ، ووصلتنا ست منها طبعت جميعا وترجمت الى الانجليزية والفرنسية ، وكان لها تأثير كبير. وكان من جملة من تأثر بها المسرحي الفرنسي المعروف « موليير » . وقد رجح الاستاذ « جون وارنجتون » في

معجمه « القاموس الكلاسيكي » أن تيرنس هذا كـان ليبي الأصل والأرومة .

وثانيهما الفيلسوف الافلاطوني والخطيب « لوكيوس آبوليوس » . وقد ولد في احدى مدن نوميديا في موقع يحد بين نوميديا وقبيلة الغايتولي الليبية ، فكان كما يقول عن نفسه خليطا من الاثنتين ، وكـان ذلك في الربع الاول بعـد الميلاد .

وقد كانت تطلعات أبوليوس لا تحد ، فقد رغب في الفلسفة والادب ودراسة الاديان ومعرفة الطقوس السحرية رغبة تمكن بها من الاحاطة بجملـة من ميادين المعرفـة الانسانية .

وقد قصد أثينا فنهل من أكاديمية أفلاطون، وارتحل الى روما واستفاد مما تموج به مـن علوم، وكان الأمـر قد استقر به في قرطاجنة بعد ذلك . حتى اذا مـا كـانت بوادر انتشار المسيحية قد ظهرت في الأفق يمم وجـه شطر الاسكندرية ليكون علـى قرب من الشرق ودينـه الجديـد .

وفي طريقه الى مقصده كان لا بد له أن يمر ببلـد عامر مزدهر وأن يقضي فيه مدة . تلك كانت « أويـا » طرابلس اليوم . لكن القدر كان يخبىء له مفاجأة لم يكن يتوقعها اذ التقى في « أويا » بشاب مهتم بالفلسفة والعلوم

معجب أشد الاعجاب بأبوليوس هذا، فتصادقا. وتصادف ان ألم بأبوليوس مرض عابر فنزل بيت صديقه الشاب • وكان الشاب قد فقد والده الذي خلف له ثروة طائلة وأما جميلة ما لبثت أن تعلقت بأبوليوس ورضيته زوجا ، وكانت ترفض من قبل كل راغب في الزواج منها وترد عن بابها الخطاب •

هنا ثارت ثائرة أعيان المدينة ولم يجدوا ما ينفسون به عن غيظهم الكظيم الا أن يدعوا على أبوليوس في محكمة صبراته ، قائلين : انه لم يفز بالسيدة الجميلة الغنية الا لأنه ساحر ، سحرها بتعاويذه وشعبذاته • وطالبوا منه بالقصاص •

كان السحر يومها جريمة عقوبتها الاعدام ، ولم يكن لأبوليوس من مناص الا أن يقف أمام المحكمة يدفع التهمة ويرد الكيد •• وقد كان •

في قاعة المحكمة الواسعة في صبراته وقف الفيلسوف الأديب يقرأ أمام هيئة المحكمة وثيقة من أروع وثائق الدفاع الادبية ويفند زعم خصومه وحاسديه • وقد نجح في دفاعه نجاحا باهرا ، وأخلي سبيله ، ومضى غير عابىء بشيء •

واذا كان أبوليوس قد ذهب فان « الأبولوجيا Apologia » أو « الدفاع » ـ تلك التي عرفت

بها خطبته في محكمة صبراتــه ــ بقيت خالدة عــلى مر الزمان !

ذلــك ما يقوله الاستــاذ « أدلنغتون Adilngton » في مقدمته لمسرحية « الحمار الذهبي » احدى مسرحيات أبوليوس الممتازة في سلسلة « لويب » الكلاسيكية .

شيشنق بن نمرود

كان اسم الرجل شيشنق • شيشنق بن نمرود بن شيشنق بن بيتحوت بن نبتيشي بن موسين بن بويواوا • وكان ليبيا من قبيلة المشوش ، وكان مقدرا له ان يكون أحد فراعين مصر العظام ، وأن يحفر اسمه على صخور ابو سمبل ، وصفحات التوراة ، ويؤسس الأسرة الثانية والعشرين في وادي النيل •

« أمير الامراء » •• « رئيس المشوش العظيم » ابن نمرود وأمه محيتموا شهى وزوج كارعو ماع ابنة الفرعون أوسكرون • ذلك الرجل الذي ارتقى عرش مصر حوالي الف سنة قبل الميلاد على اختلاف طفيف في تعيين العام •

كانت العلاقة بين الليبيين وسكان وادي النيل وطيدة ، على اختلاف وجوهها وأشكالها ، وهي بحكم الجيرة والاحتكاك لم تكن تخلو من منازعات تبلغ مبلغ

الحرب أحيانا ، أو تعاون بمختلف السبل • وقد جاءت على تاريخ مصر فترات كان الليبيون يمثلون جزءا هاما من الجيوش التي كان يحارب بها الفراعين •

وعلى سنة الحياة ، كان لا بد لفريق كبير من القبائل الليبية ان تستوطن مصر ، وان تتخذ لها مقرا في الواحات أو الدلتا بجانب النهر العظيم •

في عهد الأسرة الحادية والعشرين استقر زعيم لقبيلة المشوش ـ وهو الذي يدعى بويواوا ـ في مدينة « هيراكلوبوليس » ثم رسم ابنه موسين كاهنا لمعبد هذه المدينة وقائدا لحاميتها ـ صارت بعدها هاتان الوظيفتان حكرا على أسرته وأحفاده من بعده • وبهذا استطاع أبناء بويوواوا أن يسيطروا على مقدرات الامور في تلك البلاد، وأن يكونوا من حولهم الاعوان والجنود ، حتى اذا كان الربع الاخير من القرن العاشر قبل الميلاد ظهر من بين الاحفاد رجل قوي الشكيمة واسع الطموح ، قد ملك المال والرجال ، ذلك هو ابن نمرود « شيشنق » الثاني في الأسرة والأول على كرسي الحكم في مصر• وكانت الاسرة الحادية والعشرون يومها قد اشرفت على الانهيار ، شأن كل نظام في الدنيا وسنة الله ، وكان مقر حكمها مدينة «بوباستيس» حيث سار شيشنق بجنوده اليها وأعلن نفسه فرعونا في مصر •• وحكم هناك وأبناؤه ما يقرب من قرن

وربع القرن من السنين ، كما يثبت المؤرخ « مانيشو » في كتابه « تاريخ مصر » وتصادف أن كان عهد شيشنق هو نفس الفترة التي تولى فيها سليمان الحكيم بن داود حكم بني اسرائيل ، وكان لا بد من صلة بين ملكين وجدا في زمان واحد وآونة واحدة على كل حال .

ولقد ذكر شيشنق هذا في التوراة مرتين ، وهو يدعى فيها « شيشق » .. وكان اسمه يبعث الرعب في قلوب الأعداء ، وكان له تأثيره الكبير في سير الاحداث وفي توجيه الصراع الذي نشأ بين اليهود بعد وفاة سليمان ، وقد غزا فلسطين مرتين ووصل الى أقصى حدود مملكة الكنعانيين .

واذا كان أشهر ما خلفه سليمان هو هيكله الذي يقدسه اليهود ، فانهم يعلمون جيد العلم أن هذا الهيكل بنى اكراما لابنة شيشنق زوجة سليمان الحكيم !

سليمان يخطب الود والابنة أيضاً

تولى سليمان بن داود حكم بني اسرائيل أربعين عاما ، من سنة ٩٧٦ الى سنة ٩٣٦ ق.م . وتولى شيشنق بن نمرود عرش مصر عام ٩٤٥ الى عام ٩٢٤ ق.م. فكان أن عاصر حكم سليمان بن داود تسعا من السنين . ولزم لهذا أن يكون على صلة به وان يحدد منه ومن شعبه موقفا ارتضاه .

كان شيشنق رجل حرب وسياسة ، وكانت التجارب قد حنكته وعلمته الكثير من فن معاملة الشعوب والملوك بحسب طبيعة العصر الذي عاش فيه .

ويقول الاستاذ « أويسترلي W.O.E. Oasterley » في مقالة له في كتاب « تراث مصر » الذي أصدره السير « جلانفيل Sirglanvill » : ان شيشنق كان يطمح الى أن يضم لمملكته فلسطين وسوريا ويجعلهما جزءا من مصر ، وهو قد اتخذ الى هذا المطمح سبيلين ،

القوة الحربية ، والدهاء السياسي . وكان شديد الحرص على تحقيق هدفه بشتى الوسائل حتى يحمي جناحه الشرقي ويأمن متاعب أعدائه هناك . ولم يتوان عن تشجيع القلاقل السياسية داخل منطقة نفوذ سليمان ، في نفس الوقت الذي لم يرفض طلبه الزواج من ابنته .

ويرى الاستاذ « برستيد » في كتابه « تاريخ مصر » أنه كان على سليمان أن يكون على حذر من هذا المحارب القوي الداهية ، وأن يهادنه ويسترضيه ، وذلك بأن سعى للزواج من ابنته ، وصار بهذا صنيعة له يحركها كيف شاء . وقد تمكن شيشنق بهذا من السيطرة على فلسطين ودحر الكنعانيين وبسط نفوذه السياسي الواسع على نهر الاردن وما حوله من بلاد .

كانت مآرب شيشنق واضحة اذن ، فقام دون تردد بتأييد حركات التمرد التي ثارت في عهد سليمان واتخذ من أبطالها أداة لتخويف جيرانه وارهابهم . وهذا ما دفعه لاحتضان خصم بيت داود وهو «هددالأدومي» حين قام من « أدوم » الى «مدين » ثم « فاران » حيث هبط مصر .

ورد في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول : أن هددا جاء الى فرعون ملك مصر — يعني شيشنق — « فأعطاه بيتا وعين له طعاما وأعطاه أرضا . فوجد هدد نعمة في عيني فرعون جدا وزوجه أخت امرأته،

أخت تحفنيس الملكة ، فولدت له أخت تحفنيس جنوبث ابنه وفطمته تحفنيس في وسط بيت فرعون ، وكان جنوبث في بيت فرعون ، بين بني فرعون » •

ولم يكتف شيشنق بهذا ، بل أعان أيضا خصم سليمان اللدود « يربعام بن نباط الافرايمي » الذي استولى على نصف فلسطين بعد موت سليمان • وقد جاء في نفس الاصحاح أن سليمان طلب قتل يربعام « فقام يربعام وهرب الى مصر ، الى شيشنق ملك مصر ، وكان في مصر ، الى وفاة سليمان » •

كان بلاط شيشنق يومها ملاذا يحتمي به ، وكان له من السلطة والقوة والجبروت ما يأمن معه العواقب . لذا فانه ما ان شق الكنعانيون في شمال فلسطين عصا الطاعة على نفوذه حتى جهز حملة ضخمة وسار بها الى عاصمتهم « جازر » Gezer حيث اكتسحها وأحرقها وأخضعها لنفوذه ، وكانت بداية قصة مثيرة من قصص رئيس المشوش العظيم •• ابن نمرود حفيد بويوواوا ! •

ليبية تميزت بين ألف امرأة

يقول السيد « واريك فوجلن E. Voegelin» في الجزء الاول من كتابه « «Israel and Revelation» » الذي أصدرته جامعة ولاية لويزيانا عام ١٩٥٦ م : ان الزواج في العصور الغابرة كان يستخدم كأداة هامة في خدمة السياسة الخارجية . فكان الملوك والامراء يقترنون بزوجات عديدة من مختلف البلاد والجنسيات ، وهذا ما دفع سليمان الى أن يطلب يد ابنة شيشنق ويتزوجها ، فأصبحت بعدها درة الحريم السياسية .

ويبدو أن شيشنق كان يسعى الى تأكيد سيطرته ونفوذه من وراء هذا الزواج . ولهذا فقد انتهز فرصة ثورة الكنعانيين في الشمال واكتسح عاصمتهم « جازر » ثم قدمها هدية لابنته امرأة سليمان ــ كما ورد في الاصحاح التاسع من سفر الملوك الأول من العهد القديم. ويقول السفر نفسه في الاصحاح الثالث : « وصاهر

سليمان فرعون ملك مصر ، وأخذ بنت فرعون ، وأتـى بها الى مدينة داود الى أن أكمل بنـاء بيته ، وبيت الرب وسور ارشليم حواليها » • ويلاحظ الاستاذ « جاردنـر Gardiner » في مؤلفـه « مصر الفرعونيـة » أن النقوش المصرية لم تثبت شيئا عن هذا الزواج ، كمـا لم تثبت اعمال شيشنق الاخـرى ، ويضيف انه لا يمكـن التعرف على اسم « تحفنيس » ، زوجة شيشنق ولعلها أم امرأة سليمان ، في اللغة الهيروغليفية • وربما كـان الأمر راجعا الى ما لحق آثار شيشنق وأسرته من طمس ومحـو في هذه النقوش •

ومهما يكن من أمر ، فان الكتاب والمؤرخين لاحظوا بعين العناية والاهتمام مدى التأثير الكبير الذي تمتعت به ابنة شيشنق في الحياة العامة والخاصة في عهد سليمان، وكيف استطاعت أن توجه الامور ـ حتى تلك الامـور الدينية ـ وجهة يتضح فيها نفوذهـا الواسع وتأثيرهـا العميق •

وعلى الرغم من أنه كان لسليمان ٧٠٠ زوجة و ٣٠٠ سرية كما تقول المصادر العبرية ، فان ما بقي من بصمات ابنة شيشنق ، لا سيما ما يتعلق بالدين اليهودي ، هـو الذي يلاحظ على الدوام •

وقد ورد في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك

الاول ، بعد قصة بلقيس ملكة سبأ ، أن الملك سليمان أحب « نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات » الا أن السيطرة ظلت لابنة شيشنق رغم كل شيء .

وعلى الرغم مما تحاول التوراة أن تضفيه من هالة على أعمال سليمان بن داود في مختلف المجالات ، الا أنها لا تتركه دون تهمة الضعف عند شيخوخته . فتقول : ان « نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ... فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ... حينئذ بنى سليمان مرتفعا لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن » .

هذا ما تقوله التوراة . واذا كان الامر صحيحا ،فلم لم تذكر ماذا بنى لامرأته الاثيرة بنت شيشنق ؟ ولماذا تأتي الآيات بخصوصها مبتورة على حذر شديد ؟

ذلك لان المسألة تتعلق بالهيكل .. بقدس الاقداس وبيت الرب .

وهذا ما يتجنب الخوض فيه الكثير من اليهود !

ولها بني هيكل سليمان

نحن نعرف جميعا دون ريب حائط المبكى ، ذلك الذي اتخذه اليهود رمزا قالوا ان هيكل سليمان كان هناك ، وظلوا على مدى العصور ينوحون عليه ، ويدعون حقهم في فلسطين العربية بسببه ، وبسبب ما أحاطوه به من بهرج وهالة .

والله يعلم ، والتاريخ يشهد ، أن دولتهم التي ادعوها لم تقم سوى ستين عاما ليس غير كما يثبت ذلك « ول ديورانت » في كتابه « قصة الحضارة » . لكنها الدعوى الباطلة في هذا العالم الزائف الذي يطمس فيه الحق طمسا .

ومهما يكن من أمر فدعونا نر كيف بني هذا الهيكل، ولم بني ، ولمن ؟

يتحدث سفر « أخبار الايام الثاني » من التوراة بتفصيل كبير عن هيكل سليمان ، ويصف كل قطعة فيه

وما أقيم له من شعائر وطقوس ، وهو يفيض في الوصف بمبالغة عجيبة .. حتى ليدرك القارىء منذ الوهلة الأولى ما في هذا الوصف والتفصيل من غاية بعيدة لا تخفى .

وهو يذكر ان سليمان بنى بيت الرب أو الهيكل في سبع سنين ، وأنه بنى بيته هو في ثلاث عشرة سنة . ثم يقول : ان بنت فرعون صعدت من مدينة داود « أي أورشليم » الى بيتها الذي بناه لها ، حينئذ بنى القلعة .

من هذه النقطة يتخذ السيد «أريك فوجلن» في Israel and Revolution منطلقا ليؤكد في الصفحة الحادية والعشرين بعد المائة الثالثة أن بيت الرب هذا انما بني لاله ابنة شيشنق قبل أن يبنى ليهوه الاه اليهود .

ومن الممكن تلخيص مقالة الباحث في هذه النقاط التالية :

أولا : أن ما نعلمه من صفات هيكل سليمان ومواجهته لمشرق الشمس وبواباته التي تسمح بدخول أشعتها ، يشير الى تأثر واضح بالديانة المصرية ، ديانة «آمون» أو «رع» اله الشمس .

وثانيا : أن الرب الذي يظهر نفسه عند غروب الشمس في السماء ، بينما يبقيها في الظلام ، لا يمكن أن يكون الا الاله آمون .

وثالثا : أن العهد القديم يذكر أسماء الزوجات اللاتي

عمل سليمان هياكل لآلهتهن ، ومن العجيب أن لا تكـون ابنة شيشنق من بين من ذكرن ، وهـو يقـول ما نصه : « والتفسير الوحيد لهذا الموقف أن بيت الملك وبيت يهوه أعدا كلاهما من أجل الأميرة ••• وبيت سليمان الذي بناه ليهوه كان أيضا بيتا لاله بيت فرعون» • فاذا لم يرد ذكر خاص لمعبد شيده سليمان من أجل الأميرة فذلك لأن بيت يهوه بني لاجلها كما بني بيت الملك من أجلها أيضا •

ورابعا : أن نص زواج سليمان من بنت شيشنق ، ونقلها من مدينة داود الى بيتها ، يقفان منفردين دونما سياق • فاذا قال العهد القديم ان سليمان نقل زوجته لأنه لا يسمح لأحد من زوجاته بالبقاء عند تابوت الرب فان الفقرة تبدو كمحاولة واضحة لطمس حقيقة أن بنت فرعون والتابوت كانامتلازمين •• وهما كانا كذلك مدة ثلاث عشرة سنة •

ثم يختم الباحث مقالته بما جاء في التوراة من تلميح الى ميل قلب سليمان في أواخر أيامه ، والى قيام يربعام خصمه ببناء معبد آخر منافس للهيكل ، ويقول ان هذا يعني أن بني اسرائيل لم يكونوا راضين عما تضمنه الهيكل من طقوس عبادة آمون بتأثير من ابنة شيشنق من تحفنيس •

بعد أربعين عاما من حكمه توفي سليمان بن داود ،

وكان لا بد أن نرى يد شيشنق تمتد من جديد لتلعب دورا آخر في تاريخ بني اسرائيل ، بعد أن حقق نشر نفوذه واثبات وجوده وكان له ما أراد !

عبيد شيشنق

بعد وفاة سليمان بن داود عـــام ٩٣٠ ق•م انقسم اليهود الى حزبين : فريق اتبع «رحبعام» ابنه من المرأة العمونية ، وفريق انحاز الى يربعام بن نباط خصيمه اللدود الذي احتضنه شيشنق وأيده كما سبق القول فيه •

وهنا يثير السيد «فوجلن» في كتابه المذكور آنفاقضية هامة • ذلك أن التوراة تذكر أن رحبعام بن سليمان تولى ملك أبيه كأنما هو الابن الوحيد الوريث ، على الرغم من الزوجات السبعمائة والسراري الثلاثمائة • ولا بد أنه كان هناك حشود من الأبناء على هذا الأساس ، منهم واحد أو أكثر من ابنة شيشنق •

لكننا لا نسمع شيئا عن دسائس أو اغتيالات متوقعة بين من يخلف سليمان • فماذا حدث لأحفاد شيشنـــــق وأين ذكرهم ؟!

هذا سؤال جدير بالاجابة عنه لأنه يحمل في طياته

تفسيرا لما وقع بعد ذلك من أحداث .

والذي وقع أن رحبعام كان ابن ضرة الاميرة الليبية، وكان فظا غليظ القلب ، فلم يكن لسطوتها أن تستمر في عهده على كل حال .

وكان شيشنق يتحين الفرصة للانقضاض على أعدائه واظهار سلطانه وتحقيق سيطرته الكاملة على فلسطين ، وكانت الفرصة ملاءمة له لتأكيد ما يريد .

بعد خمس سنوات من تولي رحبعام سير شيشنق حملة كبيرة الى فلسطين يقودها بنفسه ، وكانت هده هي المرة الثانية التي يذهب فيها الى هناك ولعله فعل ذلك انتقاما لابنته ، وتأييدا ليربعام . وفي «سفر الملوك الاول» كما في «اخبار الأيام الثاني» تقول التوراة : ان الرب غضب من بني اسرائيل لأنهم فسقوا في الارض وأنهم تركوه «وانا أترككم ليد شيشنق» ليكونوا «له عبيدا ويعلمون خدمتى وخدمة ممالك الأراضي . فصعد شيشنق ملك مصر على أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك . أخذ الجميع وأخذ اتراس الذهب التي سلمها سليمان ».

ولقد مضى شيشنق «بألف مركبة وستين الف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر . لوبيين وسكيين وكوشيين ، وأخذ المدن الحصينة التي ليهوذا وأتى أورشليم» . هذا ما ترويه التوراة . ويوضح الاستاذ

بريستيد في مؤلفه «تاريخ مصر» أن الجيوش المصرية لم تدخل فلسطين منذ ٢٧٠ عاما حتى جاء شيشنق فاكتسحها ، ودخل مدن جزريل ، دخلها من ريحول في الشمال عبر أفرايم ، وبلاد ماجد وثاناش وشونيم حتى بيت شنان في وادي الأردن شرقا .

واحتل جنود شيشنق — وغالبيتهم من الليبيين — يارازا في الجنوب وبيت حورون وعجلون وجبعون وسوكوه وبيت عانوث وشارحين وآراد ، واحتلوا ايضا مدينة في مكان غير معروف الآن يدعى «حقل ابراهيم» حسب تسجيل نقشه شيشنق على لوحة وجدت في مدينة الأقصر ، وهو أقدم تسجيل لاسم ابراهيم عليه السلام في التاريخ .

أما الاستاذ غاردنر في مؤلفه «مصر الفرعونية» فانه بعد تحليله يضيف أن اكتشاف بعض الآثار في ماجدو تذكر شيشنق لا تترك مجالا للشك في حملته الكاسحة الكبيرة .

كذا كان شيشنق بن نمرود ليبيا اعتلى عرش فرعون، وسير الجيوش ، وفرض الطاعة ، وصاهر سليمان ، وبنى لابنته الهيكل ، وألقى الرعب في قلوب الاعداء ، وحفر اسمه على أعمدة الكرنك وصفحات التوراة ، وغير من مجرى التاريخ !

نخاو يطأ أعناق الأعداء

لم يكن شيشنق هو الليبي الوحيد الذي أصبح فرعونا في مصر ، بل كان من بعده أحفاده على مدى الأسرة الثانية والعشرين . ثم دار الزمان دورته ، وجاءت أسر أخرى حتى الأسرة السادسة والعشرين في القرن السابع قبل الميلاد ، وكانت هي الأخرى ليبية استقربها المقام في مدينة «سايس» Sais أو ما يسمى « صا الحجر» الان . واشتهر من فراعين هذه الاسرة اثنان هما «بساماتيك» و«نخاو» . ذلك كما يقول الاستاذ هيرمان Herman kees في كتابه «مصر القديمة» أن ملوك سايس في الفترة المتأخرة وخلفاءهم من مدن الدلتا كانت أسرهم ليبية واتباعهم ليبيين . وهذا ما يؤكده المؤرخ اليوناني القديم «ثيوسيديوس» في «تاريخه» الذي نشرته مترجما الى اللغة الانجليزية سلسلة Loeb الكلاسيكية .

ولقد مر بنا حديث بساماتيك في بعض الحلقات الماضية ، كما مر طرف من ذكر نخاو الثاني فيما سبق • كان ذلك حين قلت ان نخاو كان أول من حفر قناة بين البحر الأحمر ونهر النيل ليصل بين البحرين الأحمر والابيض وانه بعث بأول رحلة في التاريخ دارت حول أفريقيا من خليج السويس حتى مضيق جبل طارق وعادت الى مصر في ثلاث سنين ، قبل أن يعرف «فاسكوداغاما» رأس الرجاء الصالح بما يزيد على ألف عام ، وكان هذا من جملة أعماله الخالدات •

لكنني أحب الآن أن أشير الى أعماله العسكرية أيضا، وكيف كان على قدرة وطول ، تماما كما كان سلفه شيشنق من قبل •

لقد كان اليهود أبد الدهر شعب الفتن والشغب ولم يكونوا ليسكنوا الا اذا نالتهم ضربة قاضية تقصم منهم الظهر وتحطم الدماغ •• وهذا ما كان مع نخاو •

عندما توفي سليمان انقسم بنو اسرائيل طوائف وأحزابا ، واستمر الحال ما يقرب من مائتي عام • حتى اذا ما تسنم نخاو الثاني ذرى الحكم حوالي نهاية القرن السابع قبل الميلاد ، جاء «يوشيا» ليحكم بني اسرائيل • وتتحدث التوراة باسهاب عن ثورة يوشيا ضد الهياكل التي أقامها سليمان بن داود لآلهة زوجاته ، وعن تطهيره

الهيكل من مظاهر العبادة المصرية وطقوسها .

كانت تلك في الواقع محاولة التخلص من النفوذ الفرعوني وتأثيره ، وهذا ما لم يرض نخاو بحال . وكان أن احتذى حذو سلفه شيشنق وقام بحملة على يوشيا وشعبه يسردها الاصحاح الثالث والعشرون من «سفر الملوك الثاني» بالنص فيقول :

« في أيامه صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك آشور الى نهر الفرات ، فصعد الملك يوشيا للقائه ، فقتله في مجدو حين رآه . وأركبه عبيده ميتا من مجدو وجاءوا به الى أورشليم ودفنوه في قبره . فأخذ شعب الأرض يهوآحاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه ... وأسره فرعون نخو في ربلة في أرض حماة لئلا يملك في أورشليم ، وغرم الأرض بمائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . وملك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضا عن يوشيا ابيه وغير اسمه الى يهوياقيم وأخذ يهو آحاز وجاء الى مصر فمات هناك . ودفع يهوياقيم الفضة والذهب لفرعون ... فطالب شعب الارض بالفضة والذهب ليدفع لفرعون نخو . كذا تقول التوراة .

وهكذا وللمرة الثالثة تطأ سنابك خيل رجل ليبي أعناق أعدائه ، وأعداء الله ، وأعداء الانسانية جمعاء .

فتش عن المرأة

كانت جملة مختصرة ومعبرة تلك التي أرسلها نابليون بونابرت ــ في ساعة غيظ أو ساعة رضا ــ حين قال : «ان وراء كل عظيم امرأة» • ولقد أصبح المثل الانجليزي : «فتش عن المرأة» مثلا عالميا مشاعا ، فان كلا القولين حق، وكان للمرأة المخلوقة من ضلع ضلع في كل ما سجله في صحائفه التاريخ • من هذا القبيل ما يروى من خبر نهاية الأسرة السادسة والعشرين في مصر ــ وهي أسرة ليبية كما قلت ــ وما جرت اليه هذه النهاية من أحداث •

كان آخر ملوك هذه الأسرة يدعى «أبرييس» باللسان اليوناني ، وهو «خفرع» في الأصل • وقد حدث في السنة السبعين بعد المائة الخامسة قبل الميلاد أن جار الاغريق المهاجرون الى قورينا على أراض ليبية وانتزعوها ، فلم يجد الليبيون بقيادة رئيسهم «أدكران» الا أن يلجأوا الى خفرع هذا ، وهو القريب النسيب ، يستنجدون به لمحاربة

الاغريق . ويقول أبو التاريخ هيرودوت في الفقرة ١٥٩ من الكتاب الرابع ما خلاصته : ان هذا الجيش الذي بعث به خفرع انكسر في معركة قرب عين ايراسا ، ذلك لأنه استخف بعدوه ولم يحسب له حسابا ، وكان على جهل به وبطريقته في القتال .

وقد ترتب على هذا أن قامت ثورة ضد خفرع تحت امرة قائد عسكري هو «أحمس» استولى بعدها على الحكم وتسنم الملك وقتل خفرع .

بعد ذلك بقليل جاء قمبيز بن قورش الى مصر بتجريدته المعروفة ، وكان سببها غريبا كما يذكره المؤرخون .

فقد رغب قمبيز في الزواج من احدى بنات أحمس، وأرسل اليه برغبته هذه . غير ان أحمس خشي أن لا تنال ابنته الحظوة وأن تكون مجرد جارية في قصر ملك الفرس. فكان ان بعث اليه بابنة الفرعون المقتول خفرع ــ وتدعى تنيتس Neititis على أنها ابنته هو . كتمت الأميرة ما في نفسها ، وذهبت الى فارس عروسا تجلى ، فلما بلغت قمبيز وقفت بين يديه وقالت : «ايها الملك ! لقد خدعت ولست أنا ابنة أحمس ، انما أنا ابنة خفرع المقتول» .

هنا ثارت ثائرة قمبيز وقرر أن يأتي في حملة تأديبية لاحمس على هذه الخدعة الماكرة .

ذلك ما يرويه هيرودوت .

غير أن «ديدون» في كتابـه (التاريـخ الفارسي) و « لوكياس النوكراتي » في كتابه « التاريخ المصري » يقولون ان أحمس بعث الاميرة نيتيس الى قورش والـد قمبيز وان قمبيز ابنها أراد أن ينتقم لوالدته مما لحقها من مهانة وصغار .

مهما يكن من شيء ، وسواء كانت تنيتس أم قمبيز أو زوجته ، فان ما تبع ذلك من أحداث مشهورة هي من أخطر ما سجلته الايام .

أليس حقا اذن أن نفتش عن المرأة ؟!

ذو القرنين في الصحراء الليبية

في سورة الكهف من القرآن الكريم ورد اسم «ذي القرنين» ذلك الذي مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا ،«فاتبع سببا • حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما» •

واذا كان البعض ــ كالمرحوم الأستاذ عباس العقاد ــ يرى أن المقصود هو قورش ملك الفرس ، فان أغلب كتب التفسير ترى أن المعني هو الاسكندر المقدوني المشهـور باسم الاسكندر الاكبر ، ولها في هذا افاضة وتطويل •

غير أن هذا الاختلاف لا يمنع من وجود حقيقـة تاريخية ثابتة هي أن الاسكندر الاكبر زار في جملة مـا زار بلاد الليبيين في سيوة ، وأنه ــ فيما يقال ــ جعل من نفسه ابنا لآمون صاحب المعبد المعروف في هذه الواحة ، وقرب اليه القرابين • ونحن نعرف أن معبد آمون سيوة هذا بلغ من ذيوع الصيت حدا لا ينافسه في العالم القديم

فيه الا القليل ، وأن سيطرة عبادته امتدت شرقا وغربا على مختلف الشعوب والأجناس ، وباتت الواحة تعرف بـه فسميت «أمونيوم» وسمى الليبيون المحيطون بها الأمونيين وكان لهم شأن في التاريخ كبير •

ونحن نعلم أيضا أن عبادة آمون انتشرت في وادي النيل انتشارا عظيما ، وعمته من جنوبه الى شماله ، وكان لكهنة معابده في «طيبة» وغيرها ولسدتنها الحكم وتوجيه الأمور • ولعل الكثيرين لا يعلمون أن أصل الاله القديم كان ليبيا كما كان بوسيدون وأثينا وغيرهما من الأرباب •

وكما هي العادة في تفسير نشأة الآلهة القديمة اختلفت الروايات في أمر آمون ، ،وان اتفقت في أصله الليبي • من ذلك مثلا ما يقوله الكاتب اللاتيني «هوجينوس» في مؤلفه «أسترونوميكا» من أن آمون كان رجلا ليبيا قدم الـى ديونيسوس أوحورس ــ ابـن رب الأربـاب في مصر ــ قطعانا من الماشية هدية له ، فكان أن كافأه ديونيسوس بأن أقطعه أرضا في طيبة ورفعه الى مرتبة الآلهة وصار يعبد هناك •

وفي رواية أخرى أن ديونيسوس هذا كان في طريقه الى الهند عبر الصحراء الليبية ، فأمضه العطش وكاد يقضي عليه ، لولا أن استنجد بأبيه زيوس الذي أرسل له كبشا أتبعه حتى بلغ موقعا حفر فيه الكبش بظلفه فانفجر المـاء

ليروي ديونيسوس وجيشه الظمآن •• كان الموقع هــو سيوة ، والكبش هو رمز عبادة آمون •

وتقول رواية ثالثة ان الرعاة الليبيين وجدوا في المنطقة ما بين قورينا وقرطاجنة على الرمال طفلا كان يضع علــى رأسه قرني كبش ، وهو يتكلم بالغيب ، فلما رفعوه عــن الرمل صمت ، وعندما وضعوه ثانية تكلم من جديد • ثم فجأة اختفى الطفل عن ألانظار وغاب • هــنا بــدأ القوم يعبدون الآله الذي كان الطفل ينطق به •• وهو آمون •

وتقول مجموعة مــن المؤرخــين ، منهم ديودورس الصقلي وباوسيانياس ويوستاثيوس وميكروبيوس ، ان آمون كان ملكا ليبيا عظيما أله بعد وفاته وعبد •

وعلى كل حال ، فقد قيل ان الاسكندر الأكبر كان في طريقه لحصار مدينة في مصر كان بها معبد لآمون ، فرأى في المنام نذيرا منه وتحذيرا • هنا قرر الاسكندر أن يحج الى معبده الأكبر في سيوة وأن يقدم اليه القرابين ، وأن ينتسب اليه •

بقي أن نعرف أن نقودا ضربت في عهد الاسكندر اكتشفت وعليها صورته وقد علا رأسه قرنا كبش ، رمز آمون ، أفلا يجوز القول اذن بأنه هو المقصود بذي القرنين على هذا الأساس ؟!

اطلنتس .. هل كانت في ليبيا

تقول الأوراق القديمة انها كانت ذات حضارة شامخة بلغت من الكمال حده ووصلت من الرقى غايته ، وكـان أهلها يحيون حياة الرغد والهناء .

ولسبب ما ، لعله غضب الآلهة أو فساد الأمور فيها أو ثورة طبيعية مدمرة ، تلاشت هذه الحضارة واندثرت.. اختفت بين يوم وليلة ولم يبق منها الا ذكرها في الاسفار يبدو كحلم طوبي يراود خيال المفكرين والباحثين .

تلك هي حضارة «أطلنتس» وقصة شعبها الغريبة . ولقد استولت «اطلنتس» هذه على الأذهان منذ أن جاء يذكرها فيلسوف اليونان أفلاطون في محاورتيه المعروفتين «كريتياس» و«طيماوس» وهي صارت الشغل الشاغـل للدارسين . كانت المشكلة تبدو في تحديد موقع «اطلنتس» هذه ، وأين كانت ، وكيف امحت من الوجود . فهي قد اندثرت دون أن تبقى أثرا ما يدل على موقعها ويأتـي في

شأنها بالخبر اليقين .

قيل مرة انها كانت عند جزر الكناري ، وأخرى في بحر آزوف ، وثالثة في خليج سرت ، ورابعة في قادس ، وخامسة في جرينلند .. وهلم جرا من المواضع والاسماء . حتى ان اخر مقالة نشرت عن الاطلنتس تقول انها وجدت في جزيرة «ساتتورين» شمال كريت ، أو ما يسمى جزيرة ثيرا سابقا وهي التي أنشأ اهلها مدينة قورينا في ليبيا الشرقية . كما يقول كاتب المقالة في عدد نوفمبر ١٩٦٧ من مجلة « الريدرزدايجست » الامريكية .

لكن ما اكتشف في الصحراء الليبية من علامات حضارية واشارات تنبىء بما كانت تعج به هذه الصحراء من تفاعلات بشرية ومدنية جذبت الأنظار اليها كمكان محتمل لحضارة «اطلنتس» الزائلة . وهذا ما عقد له فصلا خاصا به السيد هنري لوت H. Lhote في كتابه «البحث عن تصاوير تاسيلي» . وهو قد قلب فيه الأمر على وجوهه ، وأشار الى ما ذكره سابقوه في هذا المقام ، مستعينا بما رآه هو نفسه من مظاهر حضارية ان لم تدل على وجود «اطلنتس» فهي تبين بلا ريب عن أشياء كثيرة خافية عن الأفهام .

لقد أشار هيرودوت الى الأطلسيين أو الاطلنطيين ، وهو وضعهم بعد القرامنت والأترانت . كذلك فعل من

بعده ديودروس الصقلي في «مكتبته التاريخية» •

أما المؤلف الرحالة اليوناني «باوسانياس» فقد أورد خبرا آخر عن هذا الشعب قال فيه : «ان الاطلنطيين» الذين يدعوهم هيرودوت بهذا الاسم ليسوا في الواقع غير النسامونيس ، وهم الليبيون الذين يعيشون بعيدا عند جبل أطلس • وأضاف انهم لا يفلحون الارض بل يقتاتون بما تثمره الأشجار ، وأنه لا نهر لديهم اذ تمتص الرمال ما تنزله السماء من أمطار • قال : وهم يدعون أنهم يعرفون مقاييس الارض ، التي تدعى ليكسيتاي Lixitae هذا ما يراه باوسانياس •

ومهما كان الرأي ، فان ما لا شك فيه أن رسوم الكهوف والأغوار في جبال «الاكاكوس» ، وآثار وادي الآجال ، وما امتد في الصحراء الليبية غربا وجنوبا حتى جبال «الهجار» وآثار «الجبارين» وقبر «تن حنان» وأساطير التوارق ، وكتابات الأقدمين ، كانت مادة خصبة ومثيرة للسيد بييربنوا P. Benoit ليكتب روايته المعروفة «أتتينيا» Antinea عن حضارة «اطلنتس» في صحراء ليبيا ، وعن الربة الليبية التي عرفها اليونان بعد ذلك باسم «أثينا» واتخذوا منها الهة للحكمة وملهمة للحكماء وحامية لعاصمتهم في السراء والضراء •

بلاد الخير والبركة

روي أن غريبا هبط الجبل الأخضر ، وساح في سهوله ، ولامست يده تربته الحمراء الفوارة بالخصب والنماء . قال ، وقد أخذ قبضة منها يتأملها في ذهول : تالله لئن قطعت رؤوس البشر وغرست في هذه التربة لأنبتت لخصبها ــ أجسادا من جديد !

أبالغ الرجل ؟

قليلا . لكنه أراد أن يعبر عما يحس به من دهشةامام هذه الأرض الطيبة الحبيبة . وهو ليس أول من فعل ولن يكون الأخير . فمنذ ثلاثة الاف سنة وقف الشاعر الكفيف «هوميروس» يتحدث في «الأوديسة» ــ عن أبطاله ويجعل أبطاله يتحدثون عما رأوا من بلاد .

وعن ليبيا قال منيلاوس أخو اجا ممنون وزوج هلين وملك اسبرطة باعجاب : «لقد طوفت بليبيا ــ بلد الخير ــ حيث تحمل الشياه بصغارها ثلاث مرات في الحول ، وحيث

تدر اللبن طول العام بلا انقطاع .. لا سيدها ولا راعيها محتاجان للجبن أو اللحم او اللبن السائغ لكن الشياه تدر اللبن لأولادها ليس غير » !

كان منيلاوس مندهشا من كثرة قطعان الماشيــة ، ومذهولا من فيض خير هذه البلاد .

وعندما جاء ابو التاريخ هيرودوت سجل هو ، الآخر شيئا عجيبا . قال : « ان اقليم قورينا يتمتع بنعمة رائعة . ذلك أن الناس هناك يحصدون ثلاث مرات في السنة . اذ تنضج أولا ثمار الارض على ساحل البحر ، وحين تجمع تصبح مزارع المنطقة السهلية الوسطى قد استوت للقطاف، فاذا قطفت كانت حاصلات المرتفعات قد نضجت وأينعــت للحصاد ».

قال : « وهكذا فان الحصاد عند القورينيين يــدوم ثمانية شهور ، لا ينفذ آخر المخزون حتى يكون أوله في الطريق !»

نعمة رائعة حقا .. أليس كذلك ؟

ليس هذا فحسب بل ان ديودروس الصقلي يؤكد أن الجزء القريب من قورينا يتميز بتربة خصبة ، وهو يحمل محاصيل متنوعة ، فهو لا ينتج الحنطة فحسب ، بل ان فيه مزارع كروم شاسعة وبساتين زيتون وغابات بريــة ، وانهــارا ذات نفع عظيم .

ولقد عرف العرب خصب الجبل الاخضر وأحبوه • ويذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان» أن «في برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل الجوز واللوز والأترج والسفرجل ، وأهلها يشربون ماء السماء يجري في أودية ويفيض الى برك بناها لهم الملوك ، ولها آبار يرتفق بها الناس • وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : ما أعلم منزلا لرجل له عيال أسلم ولا أعزل من برقة ••• ولولا أموالي بالحجاز لنزلتها •»

أما عماد الدين أبو الفداء فقد بين في « تقويم البلدان » ان « لبرقة جبلين فيهما عدة ضياع نفيسة وعيون ماء جارية ومزارع ، وأسعارها على سائر الاوقات رخيصة جدا • ويجهز منها الى مصر القطران والشراب والضأن الكثير » •

بلاد الخير والبركة •• لو عرفنا كيف نبارك الخيرات !

باتوس وحرف التاء

هذه الآثار التي تملأ كل بقعة في أرضنا ، تدل بلا ريب على مقدار ازدهار الحضارات التي قامت هنا منذ القدم • فهل من المعقول ــ اذا أثبتنا لها صفتها الفينيقية أو اليونانية أو الرومانية ــ أن تخلو من مشاركة أهل البلاد فيها ؟

ان البحث يبرهن كل يوم على أهمية العنصر الوطني في الجنوب والشرق والغرب في تكوينها ، وهو يشير الى أن الليبيين لم يكونوا منعزلين عنها ، بل ساهموا بكل ما يملكون في نموها وازدهارها في مختلف فترات التاريخ • ولم يكن الليبيون متقوقعين يوما ما أو متوانين عن مشاركة الأقوام القادمين اليهم والتفاعل مع الخبرات الجديدة الوافدة على أرضهم •

لنأخذ اليونان مثلا في شرق ليبيا حين هاجروا اليها من جزيرتهم « ثيرا» التي تدعى « سانتورين » الآن ،وهي

تقع في شمال « كريت » ، فقد ذكر هيرودوت أن هؤلاء اليونان هبطوا أول مرة في موقع يدعى« ايزريس » بالقرب من درنة ومكثوا هناك ست سنوات ، فلما أطمأن اليهم الليبيون جاءوهم ناصحين مرشدين . قالوا لهم :

ان هناك موقعا أفضل من هذا الموقع ، تعالوا الى مكان آخر ينزل فيه المطر وتنبع العيون . وقادوهم الى قورينا عند ما يسمى نبع أبوللو ونسميه الآن عين « شحات » .

قال أبو التاريخ : وكان اسم قائد اليونان المهاجرين غير اسمه الذي عرف به بعد ، فقد سمي « باتوس » وباتوس كلمة ليبية تعنى « الملك » . فكأن اليونان اتخذوا نظام الليبيين في الحكم وتخلوا عن نظامهم هم ، فسموا زعيمهم باتوس ، وأصبح الاسم يطلق بعدها على الملك تلو الملك طوال عهد الاسرة الباتوبية .

قال : ولقد تزاوج اليونان والليبيون . اتخذ المهاجرون زوجات ليبيات ، فكانت هذه ، وأعقابهن ، لا يأكلن لحم البقر ولا لحم الخنزير ، اذ كان من المحرمات في دياتتهن وديانة آبائهن .

فلما اختلف أبناء باتوس مع أخيهم أركسيلاوس هجروه ولجأوا الى الليبيين في مدينة « باركي » ، ومن اسمها نعرف أنها ليبية أو كان على الاقل لقبيلة

« الاوسيخساي » الليبية دور في تشييدها كبير .

وقد بنيت أيضا مدينة أخـرى كانت ميناء تجاريـا هاما ، تلك هي « طوكرة » اليوم « توشيرا » أو «توخيرا» الامس . وتدل صيغة الاسم على أنه ليبي كذلك ، فقد كانت بعض أسماء المواقع تبدأ بحرف التاء في اللغةالليبية من مثل « توباكتيس » وهي مصراته اليوم ، و «تقرفت» و « تاهرت » « وتلقاي » و « توبين » . كما يثبتأوريك بيتس في كتابه « الليبيون الشرقيون » ــ ومن الممكن أن نضيف « تاورغاء » على هذا الاساس .

ولقد بحث الاستاذ « شامـو » في مؤلفه الممتـاز « قورينا في عهد الاسرة الباتوبية » هذه المسألة باهتمام . فاذا ما زار المرء هذه المدينة وتمعن في التماثيل الباقيـة رأى الملامح الليبية متميزة في كثير منها تشير الى مكانـة أصحابها الكبيرة في المجتمع والسياسة والحياة .

فهل من المعقول أن تقوم حضارة وتعيش في بيئـة ما مئات السنين دون أن يكون لاهل البلاد فيها أي دور . أظن أنه « مش معقول » !

البير يويكي

الفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ ، ببساطـة ، أن الأول يسجل الحوادث ويؤقتها ويذكر تاريخها ، والثانية تحلل وتعلل وتستخلص من الظواهر النتائج التي ترى • وهذا ما نراه في روايتنا القادمة •

فقد حدث أن اخوة أركسيلاوس الثاني في قورينـا اختلفوا معه حين ارتقى العرش ، ويمموا غاضبين شطـر مدينة برقة ــ المـرج الآن ــ وحرضوا الليبيين فيها كـي يثوروا على أخيهم في قورينا • وقد استطاع الاخوة الثلاثة أن يحققوا ما يريدون • لكن أركسيلاوس أرسل حملـة أجبرت الليبيين في مدينة « برقة » أن يلحقوا باخوتهـم الشرقيين ويجلوا عن بلادهم ، فطاردتهم حملة أركسيلاوس هناك مرة أخرى • هنـا صمـم الليبيون ــ كما يقـول هيرودوت ــ على مهاجمة جيشه في منطقة Lencon واستطاعوا أن ينزلوا به هزيمة نكراء بلغ عدد القتلى فيها

من القورينيين سبعة آلاف من المشاة الثقيلي العـدة ، فخر بعدها أركسيلاوس مريضا ثم اغتيل • وكان طبيعيا أن تعم الفوضى بعد هذا الصراع الدموي العنيف في عهد باتوس الأعرج •

قيل : فلم يجد أهل قورينا بدا من محـاولة اصلاح الاحوال التي ساءت الى أبعد حد ، وأن يبحثوا عن مخرج من هذا المأزق الحرج • فأرسلـوا يطلبون من مدينـة « مانيتينا » في « أركاديا » مصلحا اجتماعيا شهيرا هـو « ديموناكس » وكان أعظم المواطنين قدرا في تلك البلاد، ليعالج الازمة ويقدم الحلول •

فلما جاء « ديموناكس » أجرى بحثا اجتماعيا شاملا وقلب الامر على وجوهه ، ثم استقر رأيه علـى تقسيـم المدينة ، الى طوائف ثلاث ، حسب النظام المعمول به في بلاده • فكانت الطائفة الاولى تتكون من أهل ثيرا الذين أنشأوا المدينة والبيريؤيكـي ، والثانية تتكـون مـن البلوبونيزيين والكريتيين ، والثالثة تتكون من أهل الجزر جميعا •

ويهمنا من هذه الاسماء اسم « البيريؤيكي » • فقد اختلف الباحثون في من كانوا من بين الطوائف والطبقات حتى يوضعوا في مرتبة واحدة مع المنشئين الاول للمدينة وهم أبناء جزيرة « ثيرا » ؟

غير أن أغلب الدراسين يرى أن البيريؤيكي كانــوا جيران قورينا من الليبيين ، أسهموا في انشائها وأصهروا الى اليونان فكان لهم دور في مجتمع قورينا وتكوينه •

فاذا قلنا بعد هذا ان ثقل الليبيين العسكري ، حتى لقد لجأ اليهم اخوة اركسيلاوس حين اختلفوا معه ، ثـم انزالهم الهزيمة بجيشه كما سبق،وتقدير اخوة أركسلاوس وابنه لأهميتهم هي التي جعلت المصلح ديموناكس يسلكهم في الطبقة الاولى من طبقات المجتمع القوريني ـ كنا غير بعيدين عن الصواب •

ولعل هذا التقدير هو الذي دفع أركسيلاوس الثالث الى أن يتزوج الاميرة الليبية ابنة « ألازير » ملك «برقة» ويصهر اليه • وهو قد لجـأ حين ادلهمت الامـور الـى الازيرحميه ، غير أنه لم يستطع أن يحميه !

مدينة « برقة » في فارس

كان اسم المدينة في الاصل « باركي » Barce
ثم عربت الى « برقة » ثم تحولت بعد ذلك الى « المرج »
تلك المدينة التي تبعد مائة كيلو متر عن بنغازي شرقا ..
في سهل خصب من سهول الجبل الاخضر .

لكن القدر كان قد كتب أن ينشىء أهلها مدينة
أخرى تحمل اسم مدينتهم ، ليس في ليبيا بل في أقاصي
الشرق .. هناك بعد بلاد ما بين النهرين .. في فارس
القديمة !

وتبدأ القصة حين ارتقى عرش قورينا ملكها
« أركسيلاوس » الثالث ، وكان قد سبقه تنظيم في نظام
الحكم على أساس ديموقراطي ، فرام أن يستعيد سلطة
أجداده المطلقة فثار القورينيون عليه وأجبروه على ترك
البلاد ، فقصد « برقة » ليحتمي بملكها « الأزير » الذي
كان قد صاهره اذ تزوج بابنته . لكن البرقيين لم يلبثوا

أن اغتالوا أركسيلاوس وألازير معا وأقفلوا من مدينتهم الابواب ٠

قيل : وكانت « فرتيمي » أم أركسيلاوس تصرف من بعده شئون قورينا ، فلما سمعت بمقتل ابنها خرجت من فورها الى مصر تقصد « أرياندس » نائب قمبيز الفارسي عليها ، تطلب عونه للانتقام من أهل برقة ، فقد كان ابنها هو الذي سلم قورينا لقمبيز ووافق على دفع الجزية له ٠

استجاب أرياندس لطلب « فرتيمي » وبعث معها جيشا بريا عظيما وآخر بحريا تحت امرة قائدين كبيرين توجها الى مدينة « برقة » وحاصراها مدة طويلة ٠ ولما كانت المدينة من القوة والمنعة بمكان فان الفرس لم يستطيعوا اقتحامها عنوة ، فعمدوا الى الحيلة والخديعة ٠ اذ حفر قائدهم خندقا ووضع فوقه ألواحا هشة غطاها بالتراب وبعث يطلب من أهل برقة التفاوض ٠ فخرج اليه وفد منهم فاوضه على الصلح ، وأقسموا وهم وقوف على الخندق المخفي أن كلا الفريقين سيحافظ على عهده ما دامت الارض هي الارض ٠ هنا فتحت المدينة الليبية أبوابها فكسر الفرس الالواح وانهار الخندق فدخلوا المدينة ومثلوا بأهلها كل تمثيل ٠

قال هيرودوت : كان انتقام « فرتيمي » فظيعا ، فلما روت غلتها أخذت بقية الاسرى وبعثت بهم الى الملك

« دارا » ملك الفرس ، الـــذي أقطعهم بلـــدة في منطقة « باكتريا » في أقصى الشرق من الامبراطورية الفـــارسية ليعيشوا فيها •• وكان البرقيون شديدي التعلق ببلادهم محبين لها كل الحب • قال : « فأطلقوا على هذه البلـــدة اسم « برقة » وظلت مكانا آهلا حتى يومي هذا » •

كان اليوم الذي يعنيه أبو التاريخ هو عام ٤٣٠ ق•م تقريبا • فماذا جرى لبرقة الفارسية وأهلها بعد ذاك ؟ لا ادري !

أنابو

كان اسمه « أنابو » • زعيم عظيم لقبيلة ليبية كانت تعيش حول قورينا •

التاريخ أوائل القرن الاول قبل الميلاد ، وقد ضمت قورينا الى الامبراطورية الرومانية • وكانت تمر بالمدينة مرحلة من الحكام الطغاة ، وحاكمها يومذاك هو «فايدموس» وزوجته «آرتيفيلا» •• امرأة بارعة الجمال، بالغة الدهاء •

ولما كانت العادة أن يأكل بعض الطغاة البعض الآخر فقد قام مغامر يدعى « نيكوكراتس » وذبح «فايديموس» واستولى على الحكم ، واغتصب آرتيفيلا واتخذها زوجه له ، وجعل من نفسه طاغية المدينة والسيد المطلق المتصرف في شئونها • وعلى الرغم من أن أهل قورينا كانوايتمتعون بروح ديموقراطية ممتازة ، فانهم لم يجرأوا على مقاومة الطاغية خوفا من بطشه •

قال المؤرخ «بلورتارك» في كتابه Mulierum virtutes ما معناه أن آرتفيلا لم تطق صبرا على ما حل بزوجها وبها وبأهل المدينة ، وكانت امرأة جريئة جسورة ، فبدأت في اعداد السم لنيكوكراتس حتى تتخلص منه ومن شروره • لكن الحظ خانها اذ اكتشفت خطتها ، فجيء بها بين يدي أم الطاغية واسمها « كالبيا » وعذبت عذابا شديدا لتعترف بنيتها ، فلم تعترف وادعت انها تحب زوجها حب العبادة • هنا تدخل الطاغية وأطلق سراحها وحاول استرضاءها بالهدايا والهبات •

مرت الايام ، وكان أنابو القائد الليبي خارج قورينا يراقب الاحوال داخلها • وفي هذه الاثناء دفعت آرتيفيلا أخا زوجها ، ويدعى « لياندر » الى قتل نيكوكراتس بعد أن زوجته من أختها •• ففعل • لكنه تحول هو الآخر الى جبار عنيد • فلم تجد آرتفيلا الا أنابو تلجأ اليه ليخلص مدينتها من الطغيان •

ذلك ما يقوله السيد « فيليب ستادتر » P. Stadter في كتابه « مناهج بلوتارك التاريخية » الذي أخرجته مطبعة جامعة هارفارد عام ١٩٦٥ م •

وهو يضيف أنها افتعلت حربا مع قبيلة أنابو الليبية ثم أتاحت له الفرصة ليقبض على الطاغية « لياندر » بخدعة عسكرية •

غير أن الدكتور مصطفى عبد العليم في كتابه «دراسات في تاريخ ليبيا القديم» الذي أصدرته منشورات الجامعة الليبية يقرر أن أنابو دخل برجاله مدينة قورينا وخلصها من الطاغية عنوة وبقوة السلاح •

وبينما يقرر « بيتس » أن الطاغية لياندر كتمت أنفاسه خنقا يقول « بلوتارك » ان القورينيين وضعوه في جوال وألقوا به في البحر ، وأمسكوا بأمه كاليبيا وأحرقوها حية ، ومجدوا آرتفيلا كل تمجيد ، وعادت قورينا الى ممارسة حريتها وديموقراطيتها مرة أخرى •

ذلك رجل اسمه أنابو ، زعيم قبيلة ليبية ، حرر قورينا من الطغيان وأرجع لها كرامتها ، وأعاد آرتفيلا البطلة ـ كما يقول بلوتارك ـ الى مغزلها من جديد !

شعوب وقبائل لنتعارف

من قديم ، وحتى في المنطقة الواحدة ، انقسم البشر فريقين : أهل المدر وأهل الوبر • أما أهل المدر فهم الذين استقر بهم المقام في القرى والدساكر والمدن ، وصاروا حضرا يبنون لهم بيوتا من الحجر والطين ، أو الاسمنت في العصر الحديث ، فيها يسكنون وفيها يعيشون •

وأما أهل الوبر فهم البدو الرعاة الرحل الذين يتخذون من الشعر والصوف لهم بيوتا ، هي الخيام ، تنتقل معهم حيث ينتقلون وتحملها دوابهم أنى يشاءون •

وهذا ما كان في ليبيا منذ غابر الازمان ، وكان الرحل الرعاة غالبية كثر ، وكانوا كرمال الصحراء يتنقلون من مكان الى آخر يتبعون مواطن الكلاء وموارد المياه ، وهذا ما حير الباحثين ، حين يذكر مؤرخ ما أن قبيلة كذا موطنها كذا في عصر ، ويأتي آخر بعده ليقول انها في موضع كذا في عصر اخر •

كانت القبائل ـ التي قد يسميها البعض بطونا أو طوائف او امما في بعض الاحيان ـ تسيح في البلاد شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، وتدخل ما جاورها من البلاد دون قيد من جواز سفر ولا تأشيرة دخول أو خروج .

الا أن مذاكرة ما تعرف به هذه القبائل من أسماء قد يلقى بعض الضوء عليها وعلى صفاتها ومواطنها ونشأتها وتطورها .

من الاسماء ما أطلق بحكم الموقع ، وهو ربما أطلقه الاجانب الذين لم يداخلوها ولم يعرفوا الى أي أصل تنتسب . من ذلك مثلا قبيلة « الهسبيرتاي » التي يذكر هيرودوت أنها كانت في المنطقة حول بنغازي ، والكلمة تعني باليونانية « أهل الغرب » أو « الغربيين » ـ وهي بالنسبة لليبيا اليوم من أهل الشرق .

وقبيلة « القمفزانتس » التي يقول ، ان أهلها كانوا أهل سلام وهدوء ، لا يعرفون سلاحا يحاربون به ، ويتحاشون مخالطة غيرهم ممن يحمل السلاح ويسفك الدماء ويفسد في الارض ، أخذ اسمها من « فزان » التي كانت تدعى « فزانيا » باللسان الرومي ، ومن الممكن تعريبها « بقوم فزان » ان جاز التعريب .

كذا قبيلة « الأدور ماخيداي » في نواحي جبال درنة وما امتد شرقا منها ، وهي في الاصل تعني « أهل

الجبال » أو « الجبليين » •

ونضيف اليها قبيلــة « النسامونيس » ، وهم مــن يقــول عنهم « بليني الاكبر » ان الاغريــق يدعونهــم «المسامونيس» ومعناها « وسط الرمال » بسبب موطنهم في صحراء سرت •

ومن أسماء القبائل ما تطور مع الزمن وتبدل كثيرا أو قليلا على الالسنة وفي الاسماع : كما حدث لقبيلــــة « المكسوس » التي يذكرها هيرودوت ويقــول انهــا في أقصى الغرب من ليبيا • ويرجح كثير من الباحثين أنهــا بعينها قبيلة « المشوش » التي كانت في شرقها والتيانجبت شيشنق فيما أنجبت من رجال •

ذلك ما حــدث لقبيلة « المخلويس » التي تكتــب بصيغ مختلفــة ، فتكــون مرة « المخــرويس » ومــرة « المخرواي » ، وهي التي يرى « أوريك بيتس » أنهــا صارت فيما بعد قبيلة « مغراوة » الشهيرة وينسب اليهــا « المغراوي » وهي حتى يومنا هذا لا تزال ، وأختهــا في الشرق قبيلة « المارماريداي » التي أطلق اسمها على خليج « المرمريق أو مرمريكا » عند السلوم على حدود ليبيــا الشرقية •

فاذا كان الموقع أو اللون أو الصفة الغالبة هي أصل بعض الاسماء فان خبر قبيلة « الفاروسي » الليبية عجيب•

ذلك أن المؤرخ الروماني « سالوست » يقول ان هرقل كان يقود حملة في اسبانيا من الفرس والميديين والارمن ، واختفى هناك ، فتبعثرت فلول جيشه في شمال أفريقيا ، واختلط الفرس بقبائل الليبيين الموجودة قبلهم ونشأت قبيلة الفاروسي ..

كأنما أرادوه تبادلا ثقافيا وسلاليا حين انشأ أهل برقة مدينتهم في أقصى فارس من بعد .

وسبحان الذي جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونعرف أن اكرمنا عند الله أتقانا !

شيء عن كاليماخوس القوريني

في مقطوعة صغيرة اختار لها المترجم عنوانا « الهوى القلب » يقول الشاعر مخاطبا رفيقه :

« ويلهث الصياد يا أبيسديس
ويعبر الهضاب ،
وصحبه في الثلج والضباب
يطاردون كل أرنب بري
ويقتفون من غزالة أثر .
لكنهم لو أخبروا : أصيب الحيوان ..
فلتنظروا .. ممددا هناك .
فلن يناله من أي اهتمام !
وهكـذا هواي ،
لا ينثني يطـارد الظباء ،
لكنه يسرع دونما اكتـراث
يفلت من فرصته التـي

ترقد مستعدة لكي تنـال » !

هذه ليست قصيدة مـن الشعر الحـديث ، لكنها مقطوعة من مئات المقطوعات التي تغنى بها شاعر من قورينا في حي من أحياء الاسكندرية منذ أكثر من واحد وعشرين قرنا من الاعوام ، هـو الشاعر العالـم الناقـد اللغوي كاليماخوس بن باتوس القوريني •

وقد كان مقدرا لهذا الشاعر الذي ينتسب الى أسرة من القادة والرجال العظـام أن يفجر أول معركة نقدية في تاريخ الأدب ، وأن يكـون أول حامل للواء التجديد في الشعر ، وأول ثائر على ما ساد في عصره من مفهوماته • كما قدر له أن يكون أول من نظم فهارس المكتبات علمـا وفنا ، وأن يترك من بعده للأجيال ثروة هائلة من القيـم الادبية والعلمية والفنية تذكر على مر الايام •

في القرن الثالث قبل الميلاد كـانت الاسكندرية قد ازدهرت على يد البطالمة وأصبحت منافسا خطيرا لقورينا التي أنهكتها الخلافات والحروب • والى الاسكندرية شد رجل طموح يحمل بين جنبيه مواهبه العديدة ، شد رحاله وفي قلبه تضطرم الاحلام • وفي عهد البطليموسين الثاني والثالث استطاع أن يحقق ما أراد وأن يؤثر في مجـرى تاريخ الادب والعلم والفن •

وتحدثنا الاسفار عن هذا الرجل فتقول : انه ترك في

ما ترك ثمانمائة كتاب ، وأشعارا لا تعد ، وكان مهتما بكل ما يحويه عصره من معارف ، حتى لقد بات أوحد أهل زمانه ، وتسلم أمانة مكتبة الاسكندرية العظيمة وعمل فهارسها ونظمها خير تنظيم •

كان كاليماخوس القوريني شاعرا محبا للطبيعة والاساطير ، يتغنى بعاطفة مشبوهة ، ويرسل النغم دون قيد سوى كرهه للنهج الهومري في الملاحم الطويلة المملة •

كان يضيق بها كل الضيق ويسخر منها كل السخرية، وهذا ما أجج العداوة بينه وبين تلميذه أبوللونيوس الرودسي صاحب ملحمة « أبطال الآرجو » الذي لم يرد أن يتخلى عن نهج هوميروس وأسلوبه في الشعر •

وكان كاليماخوس يذكر ليبيا كثيرا ويحن اليها ، ويذكر قورينا ويغنى لها ولأهلها ولمن جاء منها •

وهو قد غنى لبرنيكي ابنة ماجاس ملك قورينا ، وزوجة بطليموس والتي سميت باسمها « بنغازي » فيما بعد •

فقال :

قد زيدت الفاتنات رابعة

اذ صيغت الرابعة الآنا

ما زال فوح العطر في ردنها

يلهي العقول ويسبي الناس وجدانا

جذلى « برنيـق » أخـاذة

بين الحسان زرافات ووحدانا

مـا كـانت الفاتنـات الا بهـا

تدعي حسانا وكـان الحسن فتانـا

ذاك شيء عن كاليماخوس القوريني •• غير أن حديثه طويل •• طويل !

«وأطلت قورين...»

من العصر البطلمي حتى العصر الحديث .. من كاليماخوس القوريني حتى الشاعر الانجليزي «ألكسندر بوب» قطعت القصيدة الخالدة «خصلة شعر برنيكي» رحلة طويلة رائعة .

فهي قد أنشدها كاليماخوس في ابنة ماجاس حين نذرت شعرها ان عاد زوجها سالما من حربه ، فلما عاد وضعت الخصلة في المعبد لكنها اختفت ، وقيل أنهاتحولت الى نجم مذنب في السماء عرفت عند العرب باسم «الضفيرة» .

وقد جاء الشاعر الروماني المعروف كاتللوس فترجمها الى اللاتينية ، وعن طريقه وصلت الى الشعراء «أوفيد» «وهوراس» و «فرجيل» حتى بلغت «ألكسندر بوب» فصاغ من وحيها قصيدته الرائعة «اغتصاب خصلة شعر» .

ولقد كان كاليماخوس يحسب شاعرا سكندريا ،

لكن ما نجده في بعض آثاره يدل على أنه قوريني الروح والهوى ، وأن كثيرا من قصائده ليتغنى بأمجاد قورينـــا ويتحدث عنها حديث المحب الولهان •

من قصيدة له يتحدث فيها عن نفسه يقول :

« لتكن من أنت يا من تطوف حول قبري

سأسمعك من أين نشأت ومن نشأ مني ،

أنا كاليماخوس القوريني بن باتوس •

فلتعرف كلا الرجلين :

أحدهما قائد جيش مدينته منذ سنين ،

والآخر شاعر لا تطول أغانيه ألسنة الحساد ! »

وللشاعر قصيدة أخرى يروي فيها خبر وفاة طفـل يدعى « ميلانيوس » لرجل قوريني يسمـى « أرستب » فلما أحرق الطفل ، كالعادة ودفن انتحرت أخته الصغيرة واسمها بازل ـ حزنا عليه وكمدا ، قال :

قـــد دفنـا ميلانيـوس صباحـا

ثـم عدنـا بالاخـت عند الأصيـل

« بازل » أخته اكتئـابـا عليـه

قتلـت نفسهـا كأوفـى بتـول

لـم تطـق أن تـرى أخاهـا ـ وتحيا ـ

وهـو يمضي فـدى لنـار أكو ل

شاهد البيـت مثنيـات الرزايـا

ايـه « أرستب » هل يفيد عويلي ؟

وأطلـت « قورين » محنيـة الرأس

تــرنو أسيـانـة في ذهـــول

نحو بيـت الطفلين أضحى سريعـا

مهبط البوم بعد حلـو الهديل » !

ولا ينسى الشاعر ليبيا فيذكرها كثيرا في أناشيـده وترانيمه . ويقول في قطعة لـه نشرت ضمـن أعماله في سلسلة Loeb : « [illegible] » [illegible]

« ايه حوريات ورباتها !

يا من تحفظن الوطن على امتداد شواطىء النسامونيس .. ارعين ونمين قورينا ، أمي الزاهرة ! »

ومن قطعة أخرى يقول على لسان الربة ديمتر :

« ايه يا خاريس ! اني قلقة .

فلتطر . فلتحملك الريح الجنوبية ...

هل يمكن أن يحدث ... أن تصاب ليبيا بسوء ؟! »

كان كاليماخوس قد كتب في جغرافية ليبيا وتاريخها الطبيعي ، وعن أهلها ومجتمعها القديم ، وكان قورينـا يغني للأسبوستاي وعن نهر كينوب ــ أو كعام الآن .

على انه لم يكن وحده ممن أخرجت قورينا .. كان يطاوله في الشهرة الكثيـرون في الفلسفة والرياضيـات

والجغرافيا والفن • وكان تلميـذه وزميلـه وابن بلـده ايراتوسثنيس أول مـن قـاس محيـط الارض وضبط مسافته ، والرجل الذي حدد تاريخ وقوع حرب طروادة وعمل تقويما سارت عليه الدنيا بكاملها •

المصارع في كل ميدان

كان تلاميذه ومعاصروه يلقبونه بـ « المصارع في كل ميدان » . وهذا ليس لقبا رياضيا بل هو لقب علمي قد يساوي دكتور الدكاترة أو أستاذ الاساتذة أو شيخ الشيوخ . وكان يستحق هذا وأكثر منه .. فقد كان « ايراتوسثنيس » القوريني كتلة من النشاط العلمي المتعدد الجوانب المختلف النواحي والاتجاهات . وكان هو الآخر أمينا لمكتبة الاسكندرية التي تعتبر أكبر أكاديمية يمكن أن يطمح اليها دارس أو باحث .

ولا تخلو دائرة معارف أو كتاب في تاريخ العلم والفلسفة والفن الا وكتب عن ايراتوسثنيس ، فهو قد شغل الناس على مدى قرون ولا يزال يشغلهم حتى اليوم. وفي فصل ممتع من كتاب الأستاذ « أندريه بونار André Bonnard » : « المدنية اليونانية من يوريبيدس حتى الاسكندرية » يحدثنا عن ايراتوسثنيس حديثا

ضافيا مسهبا • منه ، ومن سواه ، نعرف أن عالمنا كـــان مواطنا قورينيا ولد عام ٢٧٥ ق•م• وتوفي في الاسكندرية عن ثمانين سنة عام ١٩٥ ق•م• قال : وهو كان تلميـذا لكاليماخوس ودرس الفلسفة في أثينا ثم جاء الاسكندرية فتولى مهام أمانة المكتبة •

من مؤلفاته ضاع كثير وشذرات حفظت لنا في بطون الأسفار : تاريخ للفلسفة ، وتاريخ للكوميديا القديمة في اثني عشر كتابا • ديـوان شعر علمي بـاسم « هرميس Hermes » كتاب ضخم باسم « جيوغرافيكا » سجل فيه نتائج بحوثه ونظرياته ، وأجزاء من « تاريخه » حفظت لنا عن طريق المؤرخ Nanitho وغيرها كثير •

وقد احدث ايراتوستنيس القوريني ثورة عـارمة في العلم ومناهجه ، وهو كان أول من ضبط محيط الأرض بدقة لا تفترق عما سجله العلم الحديث بسوى خمسين كيلو مترا ليس غير ، في عصر لم تكن فيه آلة حاسبة ، ولا مجهر مقرب أو قمر صناعي يرسل بالاشارات ! وكانت الفكـرة بسيطة لكنها هامة ، اذ علم ايراتوستنيس أنه في الانقلاب الصيفي تضيء الشمس تماما بئرا محفورا في أسوان ، فقاس المسافة بين الاسكندرية وأسوان ، كما قاس مسافة سمت الشمس عند الظهيرة بالاسكندرية •• وبمعادلة ريـاضيـة

أعطى محيط الارض •

كان ايراتوستنيس رياضيا ممتازا وفلكيا عظيما • وتقول عنه دائرة المعارف البريطانية انه صنف فهرسا لـ ٦٧٥ نجما ، ووضع أسس الجغرافيا الرياضية ، وكتب عن مشكلة «مضاعفة المكعب» ومشكلة ايجاد «الوسط المناسب» وقدم حلا آليا لها • وتوجد في الرياضيات طريقة تتعامل مع الأرقام الأولية تسمى «غربال ايراتوستنيس» كان هو مبتدعها وخالقها •

ليس هذا فقط بل كان ايراتوستنيس هو الذي حدد تاريخ وقوع حرب طروادة عام ١١٨٠ ق•م مما أثبته كثير من الباحثين في العصر الحديث •

ولما كان الاسكندر الاكبر تلميذا لأرسطو وكان أرسطو يعتقد أن الهند متصلة بمصر عن طريق اليابسة من الجنوب، فقد حاول الاسكندر العودة عن هذا السبيل ، ثم عدل لكن أيراتوستنيس كان أول من قال أن المحيطات تكون بحرا واحدا ، وان القارات تنتشر في هذا البحر جزرا ضخمة تحوطها المياه • وكان هو الذي قسم العالم الى أقاليم مناخية خمسة على هذه الأرض • وفي القرن الأول قبل الميلاد وضع تقويم ايراتوستنيس موضع العمل وسمى تقويم «يوليان» لان الذي أقره هويوليوس قيصر ، وكان أساسه أن السنة تتكون من ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع اليوم ، مع

سنوات كبيسة ، وهو أسدى أفضل خدمة بعد تلك الفوضى المريعة في تقاويم الأقدمين .

كان ايراتوستنيس «مصارعا في كل ميدان» حقا ،وكان مصارعا عظيما بلا ريب !

رجل الهيدونيزم

في جملة واحدة لخص الفيلسوف الأشهر أرستبوس القوريني فلسفته التي تعتبر من أهم المدارس الفلسفية في العالم القديم • قال ــ حين حدثه البعض عن علاقته بمحبوبته لاييس ــ : «انني أملك لاييس ، لكنها لا تملكني !» • وكان يعني أن من حقه الاستمتاع بالحياة والفوز باللذات على أن لا يسيطرا عليه ويوجها حياته توجيها •

وأرستبوس هذا هو ذلك القوريني ابن التاجر الغني الذي هوى الفلسفةوهام بها حبا حين اتصل بسقراط وسمع أحاديثه ومحاوراته ، وهو نفسه الذي نافس أفلاطون في خلافة سقراط وفي بلاط ملك سراكوزة وفي حب لاييس • وهو ذاته الذي أنشأ المدرسة الفلسفية القورينية ، وهو الفيلسوف الوحيد الذي سلم شعلة الحكمة الى ابنته ــ أريتي ــ فحملت عبء رسالتها ، وخرجت ابنها أرستبوس

الاصغر ، ونشرت مذهب والدها في الآفاق • وكانت ـ كما يقول الاستاذ اسماعيل مظهر في كتابه «فلسفة اللذة والألم» ـ أول امرأة تحمل مشعل الفلسفة والحكمة •

كان أرستبوس القوريني مثال الفيلسوف المتبع لمذهبه والمخلص في سبيله ، وكان رجلا خفيف الظل طروب الفؤاد، لا يأبه بشيء سوى ما يراه صوابا في الحياة • وكان تلميذا مقربا من سقراط • وقد خصص له مؤرخ الفلسفة «ديوجين اللائرتي» فصلة طيبة في كتابه «حياة مشاهير الفلاسفة» نعرف منها الكثير ، ونعرف أنه استقى معلوماته من مصادر عديدة كتبت عن فيلسوفنا الطروب • كما خصص له «كسينوفون» في كتابه «المذكرات» أو Memorabilia جزءا أتى فيه بحوار طريف بينه وبين سقراط عن الخير واللذة والجمال• ويذكر ديوجين اللائرتي مجموعة كبيرة من الكتب خلفها أرستبوس القوريني ، منها : الى لاييس ، الى المنفيين ، الى سائل ، الى لاييس عن المرآة ، حلم ، الى سيد المعربدين ، الى أصدقائه ، رسالة الى ابنته «أريتي» ، الى من لاموه على حياته الباذخة ، استجواب ، في التربية ، في الفضيلة ، مدخل الى الفلسفة ، مباحث الفلسفة ، الى سقراط ، وكتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء عن «تاريخ ليبيا» ، قدمه ـ كما يقول ديوجين اللائرتي ـ الى ديونيسوس ملك سراكوزة في صقلية ! وكان ديونيسوس هذا يمد فيلسوفنا بالعطاء ••

فلما عيب عليه ذلك قال : «وماذا في هذا ؟ عندما أرغب في الفلسفة أقصد سقراط ، فاذا احتجت الى المال يممت شطر ديونيسوس .»

ومما يروي عن أرستبوس أنه وجد ديوجين الكلبي مرة وهو يقطف ورق الخس . فقال ديوجين : «لو زرعت خسا مثلي لما احتجت لصحبة الملوك» . فأجاب أرستبوس : « لو صاحبت أنت الملوك لما احتجت لزراعة الخس » !

وجاء رجل بابنه ذات مرة ليعلمه ،فطلب مبلغا استكثره الرجل وصاح : «يا للآلهة ! انني أستطيع أن اشتري بهذا المبلغ عبدا » . فرد الفيلسوف في هدوء : «نعم ، ويصبح عندك عبدان ، الذي اشتريت وابنك الجاهل الأمي» !

كان أرستبوس أول دعاة مذهب اللذة ـ حسية وعقلية ـ في الفلسفة بعد سقراط . وكان مذهبه مرتكزا الى تفسيره الخاص للسعادة التي كان يدعو اليها سقراط،والتي نشأ عن اختلاف اتباعه في معناها وسبيلها هذه المدارس الفلسفية العديدة من بعد . وكان مذهب المدرسة القورينائية يعرف بالهيدونية .. وهي تعني باللسان اليوناني اللذة أيا كانت وكيف .

ارستبوس وافلاطون

« المحاورات» ـــ الى جانب كتاب «الجمهورية» ـــ هي أخلد ما أثر عن فيلسوف أثينا أفلاطون • وهي مجموعة من المؤلفات في مختلف مباحث الفلسفة ومسائلها ، صيغت على شكل حوار بين سقراط وتلاميذه أو من اتصلوا به بأي سبيل •

ومن الطريف أن يذكر «ديوجين اللائرتي» أن أفلاطون لم يكن مبدعا في هذه المحاورات وفي سواها مما كتب ، وانما كان ناقلا ، أو بعبارة أخف ، مقتبسا من أرستبوس القوريني ما ألف ونسبها الى نفسه • فاذا صحت هذه التهمة فانها بلا ريب تلغي الكيان الأفلاطوني ـــ ان لم يكن كله فجزء كبير منه •

والحق أن أفلاطون كان يكره أرستبوس كرها شديدا حتى أنه لم يذكره في محاوراته ، مع ما عرف من علاقة فيلسوف قورينا بسقراط ، وعلى الرغم من أن «كسينوفون»

أورد حوارين هامين بين سقراط وأرستبوس • كذلك لم يذكره أرسطو وان كان يشير اليه والى مذهبه عن طريق خفي • فما سبب هذا التجاهل يا ترى ، وما علته ؟

قال البعض ان أفلاطون وأرسطو اعتبرا أرستبوس مجرد سفسطائي لا تجدر الاشارة اليه والاشادة به ، ولهم في هذا تعليل • لكن ، ألا يمكن القول بما للغيرة من تأثير ؟ وألا يجوز أن الحسد لعب دورا في القضية ،وقديما كان في الناس الحسد ؟

من مصادر عديدة نرى أن أفلاطون حاول منافسة أرستبوس القوريني في الفوز بقلب لاييس الجميلة ،ففشل وفاز بها أرستبوس وحده • وفي بلاط ديونيسوس ـ ملك سراكوزة ـ كانت الحظوة لابن قورينا دون ابن آيجينا ، وفي مجلس سقراط كان لارستبوس مكان الصدارة دون أفلاطون • ثم لا ننسى ما ذكرناه من أن أفلاطون استرق وبيع عبدا فاشتراه أحد تلاميذ أرستبوس ـ وهو القوريني أنيكريس ـ بثلاثين «منا» وأعتقه وطوق عنقه بفضله ، فكانت هذه الحادثة عقدة في حياة أفلاطون لم يتخلص من آثارها أبدا •

الغيرة ، والحسد ، ومركب النقص ، والأنانية ، كانت عوامل متداخلة لكي يطعن أفلاطون أرستبوس ، فاذا أضفنا الصراع الفكري والفلسفي بين قورينا وأثينا ، وتميز قورينا

بمميزات تجعلها تختلف عن مدن أرخبيل اليونان واعتبارها بلدان أفريقيا أكثر من أي شيء آخر ، ظهر السبب وبطل العجب .

قال أثيناوس في مؤلفه «مائدة الفلاسفة» : «ان أرستبوس كان محبا للذائذ الطعام وقد اشترى ذات مرة سمكا كثيرا فاخرا ، فقابله أفلاطون ، وعاب عليه شراء هذا العدد من السمك ، فأجاب أرستبوس : لقد دفعت فيه أربعة دراهم فقط . قال أفلاطون : كان يمكنني أنا ايضا شراؤه بهذا الثمن . فقال أرستبوس ضاحكا أرأيت يا هذا ؟ لست أنا الذي يحب السمك ، ولكنك أنت الذي تحب اكتناز المال ! »

عاش أرستبوس مرفها في بلاد اليونان ، وكان يمكنه أن يعيش ما شاء ، لكنه آثر ــ في أخريات أيامه ــ أن يعود الى قورينا وينشىء مدرسته هناك ، ويدفن في تربتها الطيبة .

بقي سؤال هام : هل عرف العرب أرستبوس وفلسفته كما عرفوا أرسطو وأفلاطون ؟ وجوابه عند أبـي يوسف القفطي في كتابه «اخبار العلماء بأخبار الحكماء» .

ماذا يقول القفطي!

عندما نقل المسلمون الفكر اليوناني الى اللغة العربية كان الغالب عليهم في النقل فيلسوفين يونانيين أثرا أعظم التأثير ودان لهم بعض الفلاسفة المسلمين بالولاء .. هما كانا أفلاطون وأرسطو . ولذا فان العرب لم يعرفوا الكثير عن الفلاسفة الآخرين ، كما لم يتأثروا ببعض وجوه الفكر اليوناني الأخرى التي لم يهتموا بها كل الاهتمام .

لذا فليس مستغربا أن يجهل أرستبوس القوريني وأن يختلط في أمره الأمر . ولعل أشهر من ذكره — حين يذكر — هو علي بن يوسف القفطي في كتابه «اخبار العلماء بأخبار الحكماء» اذ جعل فرقته الثانية من الفرق الفلسفية السبع نقلا عن حنين بن اسحق الترجمان ، فقال عنه : «وأما الفرقة المسماة من اسم البلد الذي كان فيه الفيلسوف ففرقة أرسطيس من أهل قورينا ... وقيل ان قورينا في القديم هي افنية بالشام عند حمص والله أعلم . وقد رأيته مكتوبا

في موضع الرفني هذا من فلاسفة اليونانيين له ذكر وتصدر، وكانت له شيعته وفلسفته هي الفلسفة الأولى قبل أن تتحقق الفلسفة ... وكان أصحابه يعرفون بالقورينائيين نسبة الى البلد ، وجهلت فلسفتهم في آخر الزمان لما تحققت فلسفة المشائين . وله من الكتب المصنفة : كتاب الجبر يعرف بالحدود ، نقل هذا الكتاب وأصلحه أبو الوفاء محمد ابن محمد الحاسب ، وله أيضا شرحه وعلله بالبراهين الهندسية ، وكتاب «قسمة الاعداد» . انتهى كلام القفطي .

وهذا الكلام فيه من الخلط الشيء الكثير . أولا لأنه لا صلة بين رفنية قرب حمص في الشام وقورينا بالجبل الأخضر ، وثانيا لأن فلسفة أرستبوس لم تكن أولى بل هي بعد سقراط ، وثالثا لانه لم يترك شيئا في الجبر والحساب ، بل كان أمقت شيء الى نفسه هذه الرياضيات التي لم يكن يرى لها فائدة تذكر ، وكان شديد الطعن فيها باستمرار . لذا فان القفطي ــ رحمه الله ــ كان قد جانبه الصواب في حديثه عن أرستبوس ، وهو جانبه مرة أخرى حين دعا «قورينا» مدينة «النهروان في حديثه عن أفلاطون وعذر شيخنا أن المصادر لم تكن ميسرة له وأن قورينا كانت تسمى «القيروان» أحيانا ولعله تحريف في النسخ والكتابة .

ومهما يكن من أمر واذا كان العرب لم يعرفوا شيئا

عن أرستبوس القوريني ، فالعذر في فقدان آثاره وطمس
فلسفته التي انتشرت بطريق غير مباشر ، فطبقها سلوكـــا
الشاعر الفيلسوف الاسلامي عمر الخيام ، واتخذها منهجـا
فريق من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث .

السيدة فضيلة

لو أردنا أن نترجم اسمها الى العربية لقلنا انها السيدة «فضيلة بنت أرستبوس القوريني» • فان كلمة «أريتـــي» Arete ــ وهذا هو اسمها ــ تعني «الفضيلة» بلغة اليونان •

هذه السيدة هي التي ذكرت من قبل أنها كانت أول من حمل مشعل الحكمة وسلمته الى الاجيال ، وهي تقف شاهدا على قدرة المرأة على تحمل مشاق الفلسفة وعــناء التفكير ، وتدحض حجة من يتهمها بأنها لا تستطيع اعمال الفكر الا في مسائل الموضة ومشكلة التسريحات !

وتقول السيدة «ماري بيرد» في كتابها «المرأة كقوة في التاريخ» الذي صدر في نيويورك عام ١٩٦٢ م ما معناه :

« ان النساء مضين في نشاطهن الفكري والعلمي في المدارس المتفرعة عن الفيثاغورية ،وقد سمى المؤرخ مينانج Minang ستا وثلاثين امرأة فيلسوفة كانت أولاهن وأهمهن «أريتي»

القورينية التي حثت أباها أرستبوس لينشىء مدرسة في قورينا والتي قادتها بعد وفاته • كانت مهتمة بالعلوم الطبيعية والأخلاق ، وكانت مثل أبيها متعلقة بعالم لا مكان فيه لسادة أو عبيد ، عالم يكون فيه الجميع أحرارا من « القلق » • هذا ما تذكره السيدة ماري بيرد •

وحين تذكر اهتمام «أريتي» بالعلوم الطبيعية والاخلاق والنظرة المثالية لعالم مثالي متحرر من الخوف والقلق ،فانها تكاد تغطي مباحث الفلسفة القديمة كلها ، بما تشمله من مسائل بني على أساسها معظم المذاهب في العصر الحديث• ولا بد أنه كانت تقع بينها وبين والدها مناقشات في بعض المشكلات ، ولا بد أنها كانت تتخذ موقفا تراه • يدل على هذا ما يذكره «ديوجين اللائرتي» من أن أرستبوس كتب لابنته كتابا وجهه اليها ، كما وجه اليها أجمل نصيحة في رأيه ، وهي أن تبتعد في كل شئونها عن الافراط والزيادة وأن تتخذ موقفا وسطا بين الامور • وهذه هي القاعدة الذهبية التي قال بها أرسطو ــ المعلم الاول ــ فيما بعد ذلك من الزمان •

وعندما توفي أرستبوس الوالد كان أرستبوس الحفيد لا يزال صغيرا ، فاحتضنت أمه أريتي المدرسة القورينية ورعتها ، كانت قد نذرت نفسها لها ، فعلمت ابنها تعليما طيبا وفي مدرستها تخرج ، فكان تلميذها المباشر ، الى

جانب تلاميذ المدرسة الآخرين من أمثال : آيثيوب الطلميش وآنتيباثر القوريني ثم ثيودروس ، وايبيتيميدس ، وبارايباتيس ، وهجسياس وانيكريس من بعد •

المرأة في قورينا لم تكن كما مهملا بل كان لها المركز المرموق والمكانة العالية • عرفنا منها «فيرتيمي» القائدة الحاكمة ، وأريتافيلا البطلة الشجاعة وأريتي أو السيدة الفاضلة بنت أرستبوس العالمة الفيلسوفة •• بل هي كانت في ليبيا كلها ذات أثر ونفوذ عظيم •

ومن الأسماء التي ذكرت منذ قليل يهمنا اسمان : ثيودورس «الكافر» ، وهجسياس «مستشار الموت» •

فلم سمي ذاك كافرا ، ولم لقب هذا بمستشار الموت؟

سؤال أحسب أنه يحتاج الى جواب •

الموت والكفر .. والسعادة

سمعتم كثيرا عن الرهبان البوذيين في فيتنام ، الذين يخرج أحدهم من معبده وقد اصطحب صفيحة كيروسين وعود ثقاب ، فيتوسط الساحة ويدلق ما في الصفيحة على جسده ويشعل في ثيابه النار ، ويظل صامتا وهو يحترق حتى ينتهي وتصعد روحه الى السموات ! وهو يفعل هذا اما احتجاجا على أمر لم يرتضه ، أو قربى الهه الذي يعبده ، أو تخلصا من آلام هذه الحياة ، فهو يتخذ من الانتحار سبيلا الى ما يريد .

كان الأمر كذلك في مدينة الاسكندرية منذ أكثر من الفي عام ، مع اختلاف في التفصيلات والظروف، حين مضى اليها هجسياس القوريني ينادي بأن الانتحار هو السعادة القصوى ويدعو الناس الى مغادرة هذا العالم الشرير ، والانطلاق الى ملكوت الله الواسع الرحيب . كان هجسياس يقف خطيبا في شباب قورينا يسحرهم بلفظه

ويخلب ألبابهم بدعوته ، فلا ينفض المجلس حتى يهرع هؤلاء الى صخرة على شاطىء البحر يلقون بأنفسهم في اليم ويغيبون مع الأمواج • ومن هنا سمي «داعية الانتحار» أو «مستشار الموت» •

وفكرة هجسياس بسيطة للغاية وكانت تبدو مقنعة في ذلك الزمان ، وكانت تعبيرا عن تطور الفلسفة القورينية في أحد الاتجاهات التي سلكتها • فهي تقول : ان السعادة لا تنال في هذه الحياة ، وهي مستحيلة على كل حي ، وما دام العالم جحيما تتعذب فيه فلنبرحه باختيارنا ونهنأ بالسكينة الأبدية •

والعجيب في الامر أن الكثيرين اتبعوا نصيحة هجسياس ، وأعجب منه أنه لم ينتحر هو نفسه ، بل عاش حتى الثمانين ومات حتف أنفه ، كأنما خشي أن يموت فلا تجد دعوته من يحمل من بعده رسالة نشرها في الآفاق !

أما ثيودروس الكافر فهو شخصية قورينية طريفة أخرى ، كان حاذقا في الكلام ، سريع البديهة ، رقيق الحاشية ، وقد أورد نبذة عنه ديوجين اللائرتي في كتابه «حياة مشاهير الفلاسفة» •

وكان ثيودروس هذا يلقب بالكافر لأنه لم يكن يؤمن بأرباب عصره وينبذ الاعتقاد بها وبوجودها • وكان يرى أن المتعة هي الخير الأسمى والأسى هو الشر المطلق ، فالحكيم

هو المستمتع بالحياة والجاهل هو الذي تعذبه الاحزان •
ومن آرائه أن الذي يملك وسيلة لبلوغ السرور واستعملها في سبيل ذلك فهو حكيم قد فعل خيرا • ذلك لأن أقصى ما شغل أتباع المدرسة الفلسفية القورينية هو البحث عن السعادة ، واذا كانوا اختلفوا فان مرجع هذا الاختلاف تباين تفسيرهم للسعادة وطرق الوصول اليها •

وقد عمل ثيودورس سفيرا لبلاده ، في أثينا وكانت له جولات وصولات • ويروي ديوجين اللائرتي أنه ادعى الألوهية ، وأنه خلف كتابا باسم «عن الآلهة» استقى منه « أبيقور » مادته في هذا الموضوع •

كان ثيودورس عالميا في فكرته ،يرى أن الدنياوطنه، لكن يبدو أن هذه الفكرة لم ترقه عند التنفيذ • فقد حكم عليه بالنفي من بلده لخطورة آرائه ذات مرة ، وعندما نطقت المحكمة بالحكم صاح : «ما أقساكم يا أهل قورينا، اذ تخرجونني من ليبيا الى بلاد اليونان »!

كانت صيحة ألم مرير لفراق الأهل والبلاد • لكنه ما لبث أن عاد ليعيش تحت رعاية حاكمها ، ويدفن فيها حين وفاته ، كما دفن من قبله أستاذه أرستبوس •

هذا ثيودورس الكافر ، غير أن هنالك ثيودورس الرياضي شيخ أستاذ الفلاسفة أجمعين !

معلم سقراط

يقسم مؤرخو الفكر اليوناني الفلسفة اليونانية الى قسمين : ما قبل سقراط ، وما بعده . ويعتبرون سقراط أبا لهذه الفلسفة بمنهجها الجديد واتخاذها الانسان مجالا للبحث ، بعد أن كانت تقتصر على النظر في العلل والأسباب. وبهذا قيل ان سقراط هو الذي أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض .

وما دام سقراط على هذه المكانة الرفيعة ، وما دام هو أستاذ محبي الحكمة المبجل ، فان لأهل قورينا أن يفخروا بأنه كان أحد تلاميذ عالم قوريني عظيم هو ثيودورس الرياضي . كان مهندسا ومحاسبا وفلكيا وموسيقيا في الوقت نفسه ، وكانت له الدرجة القصوى من الاحترام والتقدير .

في ثلاث من «محاورات» أفلاطون نجد أن ثيودورس القوريني أحد أبطالها . في محاورة «ثياتيتوس» و«السفسطائي» و«السياسي» وهي تعتبر من أهم المحاورات

الأفلاطونية • وفيها نجد سقراطا يعامل ثيودروس بتوقير لا مزيد عليه وألفة كبيرة • وهو يدعوه «يا صديقي» تارة و«يا عزيزي» تارة أخرى ، وهو يصفه بأنه يبز الرجال جميعا في « الفلك والهندسة وفروع المعرفة الأخرى »وبأنه «لم يخلق للسخرية» •

ويظهر أن سقراط كان يأخذ الرياضيات عن ثيودروس، ويحاول أن يحيط بشيء من علمه الغزير • يدلنا على هذا ما جاء في محاورة «ثياتيتوس» حين يوجه سقراط الحديث الى الشاب متسائلا : «أريد أن اسألك ماذا تعلمت من ثيودروس ؟ شيئا من الهندسة يا ترى ؟ »•

فيجيب الشاب : «نعم» •

فيقول سقراط : «والفلك والموسيقى والحساب ؟»•

يقول الشاب : «انني أبذل جهدي على الأقل »•

ويعلق سقراط : « وهكذا أنا يا صديقي ، آمل أن أتعلم منه •»

ويدلنا عليه أيضا تعليق ثيودروس حين داعبه سقراط: « هذه ضربة موفقة يا سقراط ، ويظهر أنك لم تنس هندستك بعد» •

واذا كان ثيودروس القوريني قد عاش في أثينا مدة ، فان القوم كانوا يعتبرونه قورينيا خالصا • وعندما يفتتح سقراط المحاورة المذكورة يقول : «لو كنت مشغولا بما فيه الكفاية بالقورينيين ياثيودروس لسألتك عما اذا كان

هناك رياضيون صاعدون أو فلاسفة في ذلك الجزء من العالم . لكنني أكثر اهتماما بشبابنا الأثيني ، وانني لأرى عددا كبيرا منهم يتبعك ، وهم محقون في ذلك تماما بالنظر الى قدرتك في الهندسة والعلوم الأخرى » .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان تأثر ثيودروس بعبادات الليبيين يظهر واضحا في هذا القسم الذي يقسمه لسقراط في محاورة « السفسطائي » حين يقول : « أقسم بآمون اله قورينا ! » وآمون هذا كان معبده في سيوة وكان أكبر آلهة الليبيين . ليس هذا فحسب بل ان أفلاطون نفسه جاء الى ليبيا ـ بعد وفاة سقراط ـ ليتعلم الرياضيات على يد ثيودروس وبقي فيها مدة حتى تعلم ما أراد .

واذا كان ثيودروس الذي ذكره ابن النديم في «الفهرست» هو عالمنا فقد أورد أن له غير الليل والنهار من الكتب : «كتاب الأكر (ثلاث مقالات) وكتاب المساكن (مقالة) وكتاب الليل والنهار (مقالتان) ويظهر أن العرب عرفوه عن هذا السبيل .

بقيت اشارة أخيرة الى مقالة الرياضيات والفلك بقلم السير ت.ل. هيث في الطبعة العاشرة من سفر (تراث اليونان) Legacy of Greece وفيها شرح واف لنظرية القيمة الصماء التي لا تتجذر وهي من أصعب النظريات .

هنا ـ على قمة الجبل الأخضر ـ كانت حضارة وكان علم ، وكان فيها أساتذة لاساتذة العالم ، وقد آن لها أن تزدهر من جديد .

تجار التبر والحجر الكريم

ونحن صغار كان الأهل يحدثوننا عن « الفزازين » ، ذلك الصقع العظيم الذي يكمل اقليمي ليبيا ، حديثا غريبا . كانت المواصلات قليلة صعبة الركوب ، وكانت « فزانيا » أو « فزان » أو « الفزازين » حين تجمع ، تبدو قطرا صحراويا قاحلا بعيدا .

ولم يكن الأهل يعلمون أن هذه الصحراء كانت وارفة الظلال ، عامرة الارض ، مزدهرة بالحياة . وأنها لم تكن كما تظهر لهم خالية ، الا من الريح والرمال .

وقد بدأت الحضارة أول ما بدأت في فزان ، تشهد على هذا رسوم الكهوف ، وبقايا المومياء وكتب الاقدمين ، ووجدت فيها أمة عظيمة ذات تاريخ حافل ، هي أمة « القرامنت » التي عاشت حتى العصر البيزنطي ثم اندمجت في بقية عناصر البلاد وأصبحت جزءا من كل .

كان القرامنت أهل تجارة في المقام الأول ، وكانوا

همزة وصل بين ساحل البلاد وأرض السودان ، وهو يعني هنا ما امتد جنوبا من ليبيا من بلاد النيجر ونيجريا وتشاد والسودان حتى السنغال ودول غانا وما حولها .

وكان هؤلاء يقومون بنقل منتجات هذه المواطن الى الثغور الليبية على ساحل البحر الابيض والى قرطاجنة كذلك . وهم لعبوا دورا هاما في نشأة هذه الثغور وفي نشاطها التجاري ولولاهم لما كان .

ويذكر « بيتس » في كتابه « الليبيون الشرقيون » أنهم كانوا يحملون عبر فزان : العاج ، والجلود ، وأحجار الملح الفاخر الشهير في العالم القديم ، ليستخدم في تجفيف الاسماك على ساحل البحر أو يصدر الى أوربا . وكانوا يجلبون من فزان أنواعا من الأحجار الكريمة أشهرها العقيق الاحمر الذي يعرف باسم « الحجر القرطاجني » لكن موطنه كان في بلاد القرامنت والغايتولي والنسامونيس الليبية ، ثم العقيق الأرقط ، وقرون الكركدن ، وريش النعام وبيضه ، ومواد الصبر والشب والتبر والذهب الابريز، وأنواعا لا تحصى من الحيوانات البرية الوحشية.

كان القرامنت يأتون ببضائعهم من فزان وجنوبها ويتسوقون ما يحتاجون اليه ثم يؤوبون الى ديارهم من جديد . ولم يكونوا وحدهم الذين يتاجرون ، بل كان اخوانهم في الشمال أيضا يقايضون بما ينموا في أرضهم من خير .

ويشير «هيرودوت» و « ثيوفراستوس » و «بليني» و « سترابو » من المؤرخين والجغرافيين القدماء الى أن حوض البحر المتوسط كان يتهافت على نوع من الخشب الفاخر يدعى سركيرتوس Circirtus كان الرومان يدفعون ثمنا باهظا للحصول عليه .

وكانوا يشترون من اقليم سرت ضربا من الحجارة الكريمة يسمى « السرتاوي » Syrtitis وهو ذو لون برتقالي عسلي .

واستمر الحال حتى العصور الوسطى حين كان أهل البندقية يشترون من الليبيين مجموعة من المواد لا تعد ، نذكر منها الى جانب ما ذكرناه : الفواكه المجففة ،والزيوت، والحبوب ، وجلود الاغنام والبقر والجمال ، والملابس الوطنية ، والحصر ، والقفاف ، المصنوعة من بوص تاورغاء وسعف نخيل فزان ، والخيول الضامرة ، والزعفران الممتاز من جبل غريان ، والصوف والسمن والعسل من هضاب الجبل الاخضر ، واسفنج خليج سرت ، والصمغ الطيب الرائحة من فزان ، الى آخر ما يشحن في السفن ويباع في الاسواق .

كانت الدنيا دنيا ، وكان هذا الشعب يعمل لينتج ويصدر ليعيش ، ولم يكن يكتفي بمصدر واحد للخير .. مهما كان غزيرا !

سيدة جرمة ذات القادوم

نحن نسميها الآن « جـرمة » ، تقـع شمال مرزق ويفصل بينهما وادي الآجال • واليها يضرب الباحثـون والرحالة أكباد الابل ــ أو لنقل بتعبير حديث محركـات اللاندروفر ــ ليروا هذه المدينة الرابضة وسط الصحراء •

وتسميتنا لها تحريف بسيط لاسمها الحقيقي « قرمة Garama » التـي ينعتها بلينـي الاكبـر صاحب الموسوعة الشهيرة « التاريخ الطبيعي » بأنها « عـاصمة القرامنت الذائعة الصيت • »

كانت جرمة ذائعة الصيت حقا ، بموقعها وبشعبهـا ، وبتاريخها الحافل •

وفي كتاب « روما وراء الحدود الامبراطورية » بقلم السير « مورتمر هويلر » الذي نشرته سلسلة « بليكان » فصل طيب عنها يتحدث فيه عن اكتشافات البعثة الايطالية برئاسة البروفسور « باشي » يساعده الدكتور «كابوتو»

والبروفيسور « سيرجي » عام ١٩٣٣ ــ ١٩٣٤ م في هذه المنطقة من فزان .

ولقد اهتمت البعثة أكثر ما اهتمت بالمقابر الكثيرة التي وجدت آلافا منها ، وبمحتوياتها الدالة على سعة العيش ويسر في الحياة وفي الممات . قال : وقد وجد في بعض القبور ما يدل على الغنى ، من ذلك القناديل الرومانية الفخارية ، وقدح أخضر مزخرف بنقط زرقاء ، وآنية من الزجاج تحمل كتابات يونانية ، وحجارة مصقولة منقوشة الجوانب ، وقد حان من الفخار مطليان بألوان صفراء وبرتقالية وبيضاء ، وعلى كثير منها كتابات ترجح انها جاءت من الاسكندرية ، وأخرى تشير الى أنها جاءت من سوريا ، مما يدل على علاقة وثقى بين هذه المنطقة وحوض البحر المتوسط .. غير أن بعض الأدوات الاخرى توضح أنها من صنع محلي دقيق .

وقد رأت البعثة في قبر آخر أنه لسيدة من علية القوم ، يشمل ضريحا مبنيا بعناية ، وأمامه مذبح ومنضدة نذور وبقايا درج لهرم يقدر حجمه بأربعة وعشرين قدما في خمسة وعشرين .

ويبدو أن السيدة كانت مولعة بالمطبخ وأواني الشراب ، حملتها معها في دارها الآخرة لتقدم فيها لضيوفها ما كانت تقدمه في الحياة . فقد عثرت البعثة على مجموعة

من الصحون حمراء اللون وأكواب يحمل بعضها عبارات باليونانية تحية للضيف وتكرمه من مثل : « اشرب بالشفاء ! » و « في صحتك ! » . نعم .. « في صحتك » .. وكنت أحسب أنها عبارة مستحدثة جاءت من الغرب فاذا هي في جرمة أقدم مما نحسب ونظن !

قال : ووجدت أيضا مزق من ثوب صوفي ذي أرضية ارجوانية ، تعلوها زخرفات صفراء وحمراء وزرقاء ، تدل على قدرة واتقان في الصناعة والصباغة على حد سواء .

كل هذا مظهر نسوي لطيف لا يشوه صورة لطفه . الا تلك القادوم ذات الرأس الحجرية التي عثر عليها داخل المقبرة وكأن السيدة تهدد من يزعجها بهذا القادوم المخيف !

جرمة ـ أو قرمة ـ عاصمة القرامنت الذائعة الصيت كم من شبابنا شد اليها الرحال وزارها ليعرف كيف كانت في قديم الزمان ؟

زراع الملح

ما الرأي في من تعانده الطبيعة ، فتجعل بعض أجزاء أرضه سبخا ملحيا ، فلا يستسلم ولا يتواكل ، بل يأتي بالتربة الصالحة من مكان بعيد ويكسو بها الارض الملحة ويزرع فيها ما يشاء ؟

كان كذلك يفعل القرامنت كما يقول هيرودوت ، وكانوا امة كبيرة العدد تعيش بجانب تلال من الملح تتوسطها ينابيع المياه ونخل كثير .

وضع هيرودوت موطن القرامنت بمسيرة عشرة أيام غربي « أوجلة » وعينها بليني باثني عشر يوما ، وقال سترابو ان المسافة خمسة عشر يوما من سيوة .

ومجمل هذه الآراء أنهم في موقعهم الذي نعرفه حول « جرمة » جنوب خليج سرت ضاربين في الصحراء .

كان القرامنت يعتمدون في الحياة على ثلاث سبل : الصيد ، والزراعة ، والتجارة ، ويتخذون من الحرب

والقتال سبيلا رابعا ان لزم الامر !

أما الصيد فقد كانـوا ينالـون منه الثيران البرية والفيلة والنعام وما أشبهها ، يتخذون من لحومها طعـامـا ومن جلودها كساء ومن عظامها أدوات في الحياة . وأمـا الزراعة فقد كان جزء منها كما ذكرت الي جانب مـا يزرع في الواحات عادة من شجر وحب . أما التجارة فقد علمنا بطرف منها في ما مضى من حديث .

بقي سبيل المضطر ، وهي الحرب ، وكان لا بد أن يستعد القرامنت في مثل هذه البيئة لها كـل الاستعداد ، خاصة ما كان يتصل منها بطريق التجارة بين حوض البحر الأبيض وأواسط أفريقيـا التـي كانوا يسيطرون علـى مقدراتها كل السيطرة .

وكان الرومان في امبراطوريتهم الممتدة تطوق هـذا الحوض يتوقون الى الغلبة على القرامنت ، ليتيسر لهـم التحكم في بضائع السودان المتنوعة الفاخرة .

من هنا يحدثنا المؤرخون عن حملات عديدة قام بهـا الرومان على فزان بغية تحقيق الأهداف والمآرب .

كانت الحملة الاولى في نهاية أيـام يوليوس قيصر أوردها « أنايوس فلـوروس » دون تفصيل ، وكـانت الثانية في العام التاسع عشر قبل الميلاد بقيادة كورنيليوس بالبوس . ثم كانت حملتان غير محددتي التاريخ بقيـادة

كل من سبتميوس فلاكوس ، وجوليوس ماتيرنوس ،كان هدفهما بلاد السودان فمرتا بفزان ، وان رجح أن حملة ماتيرنوس كانت حوالي نهاية القرن الأول بعد الميلاد •

ولقد هادن ماتيرنوس ملك « جرمة » وصادقه حين وجد نفسه في حاجة اليه والى عونه • فمد له هذا يد الصداقة وسار معه الى ما كان يدعى « أثيوبيا » أو « السوادين » ، واستطاع أن يحقق ما يريد •

ولم تكن مهادنة الرومان للقرامنت الا بعد ما رأوا من بأسهم ومن شدة خطرهم ، حين ساعدوا مدن أويا (طرابلس) ولبدة على ثورة عارمة في عهد الامبراطور فسباسيان عام ٦٩ للميلاد ، تلك الثورة التي ردموا فيها آبار المياه ـ كما كانت عادتهم ـ فكادوا أن يقضوا على جند الرومان •

كان القرامنت يحاربون في الشمال حتى ساحل البحر ، ويطاردون بعرباتهم ذات الخيول الاربعة خصومهم حتى جبال تيبستي ، ويجوبون الصحراء ، ويزرعون الملح ويبنون المدن ، ويدعون لجدهم قراماس الاكبر بن نسامون كل صباح وكل مساء !

المكاي يطردون امير اسبرطة

تعالوا نعرف اليوم كيف انتصر سكان منطقة الخمس وزليتن القدماء على أمير من أشهر أمراء « اسبرطة » المدينة ـ الدولة اليونانية • وكيف استطاعوا أن يدافعوا عن أرضهم حين جاءهم هذا غازيا ليقيم في بلادهم على كره منهم •

كانت تسكن هذه المنطقة ، وحول وادي كعام ، طائفة من الليبيين يدعون « المكاي » وكانت لبدة لم تنشأ بعد ، قرطاجنة في الغرب وقورينا في الشرق ، وهم أحرار في بلادهم يروحون ويجيئون •

ونحن لا نعرف الكثير عن « المكاي » غير ما يذكره هيرودوت من أنهم يجاورون النسامونيس غربا الذين تشمل حدودهم منطقة مصراته ، وأنهم محاربون يستعملون في الحرب دروعا من جلد النعام ، ولعله كان كثيرا في هذه المواقع ،وأن من عاداتهم المميزةأن يحلقواالرأس كله ويبقوا

عفرة في قمته تنمو مسترسلة ، وهي ما نسميها «الشوشة» أو «القطايه» في عهدنا الحديث • قال : ويصب في بحرهم نهر كينوب ـ الذي هو كعام ـ يجتاز أرضهم قادما من « تل الحسان » في جبال ترهونة ، وتنمو على هذا التل أحراش كثيفة ، وهو يبعد عن البحر بمقدار خمسة وعشرين ميلا • وكانت هذه المنطقة على خصب في التربة وغزارة في الامطار نادرين •

أما اسبرطة فقد كان يحكمها ملك يدعى «أنكسادريس» لم تنجب له زوجته ولدا ، فاضطر الى أن يجمع بين زوجتين على غير عادة الاسبرطيين ، لحبه الاولى ورغبته في الولد من الثانية • قالوا : فجاءت الزوجة الجديدة بولد واحد صار الوريث للملك ثم من الله على القديمة بثلاثة يتلو بعضهم بعضا ، يدعى أكبرهم « دوريوس » •

وكان طبيعيا أن يحدث الخلاف على الملك بعد وفاة الاب ، وقد كان • اذ ولى الاسبرطيون الابن الوحيد من الزوجة الثانية ، وتجاهلوا اخوته الآخرين وفي مقدمتهم دوريوس المذكور • هذا ما يذكره السيد « أ•ر•بيرن » في كتابه « فارس واليونان » وغيره من المؤلفين •

قام دوريوس غضبان حنقا ، وهيأ سفنا ، واستمد رجالا ، ويمم شطر ليبيا في عام ٥١٧ ق•م يبغى أن ينشيء

مستعمرة في منطقة كعام الخصيبة ، أسوة بما فعل أهل ثيرا في منطقة الجبل الاخضر من قبل • وعلى شاطىء كعام أنزل قلوعه ثم هبط يبغي أن يقيم • كان الفورينيون يشجعونه على النزول عله ينجح فيكون شوكة في جنب منافسيهم التقليديين أهل قرطاجنة في تونس ، ويستطيعون الاعتماد عليه كرأس حربة في زحفهم نحو الغرب •

لكن القرطاجنيين سارعوا فعقدوا اتفاقا مع «المكاي» الليبيين وشجعوهم بدورهم على الوقوف في وجه دوريوس وصده وطرده من البلاد •

ذكر المؤرخون أن دوريوس لم يمكث أكثر من سنتين أو ثلاثا في وادي كعام ، اذ هزمه « المكاي » ، وأخرجوه من الوادي الى عرض البحر ليجوبه بحثا عن موطن له في مكان غير هذا الوادي الخصيب •

من يومها أدرك أهل قرطاجنة أهمية المنطقة ، وبدأوا في انشاء مدينة لبدة العظمى بمساعدة المكاي ، وليكون لها دورها الكبير في التاريخ •

قوس محبي الشهرة

السيارات الكبيرة والصغيرة ، حاملة الناس والبضائع وأنابيب البترول ، تهدر محركاتها على الطريق الساحلي الطويل الممتد من الحدود الغربية الى الحدود الشرقية ، شريان حياة وأداة ربط بين البلاد • وهي لا بد أن تمر بنقطة يعرفها كل من سلك الطريق ، أعني نقطة « القوس » في أقصى حد جنوبي لخليج سرت العظيم •

هنا ـ وفي هذه النقطة بالذات ـ تروي كتب التاريخ قصة من قصص الصراع والتضحية والفداء دارت على ألسنة الناس ورسخت في بطون الكتب وأقيم لها التذكار •

ولقد ذكرت من قبل كيف أن النزاع كان بين اليونان في الشرق والقرطاجنيين في الغرب على من يسود المنطقة بينهما ، وعلمنا كيف أخرج القرطاجنيون بمساعدة المكاي الليبيين دوريوس الاسبرطي من وادي كعام ، وكيف

نشأت لبدة العظمى بعدئذ • غير أن التنافس لم يفتر بين الطامعين ، وهو أدى الى جملة اشتباكات عسكرية بينهما في البر والبحر على حد سواء • فلما كان منتصف القرن الرابع ق•م• وأشتد الامر وضاق به الفريقان ، قررا أن يعقدا « اتفاق جنتلمان » لتعيين الحدود الفاصلة وانهاء العداء المستحكم • فاتفقا على أن يخرج أربعة عدائين في ساعة واحدة من يوم واحد ، اثنان من قورينا واثنان من قرطاجنة ، يركضون غربا وشرقا على طول الساحل الليبي ، فاذا التقوا في موقع كان هو الحد المعلوم •• وكان الامر كذلك •

انطلق عداءان من الشرق وعداءان من الغرب ينهبون الارض التي ينوون أن ينهبوها نهبا ، وكان اللقاء في موقع القوس الآن حيث تقطعت الانفاس • كان القرطاجنيون قد تجاوزوا ثلثي الارض ولم يبلغ اليونان الثلث ، فاحتج هؤلاء واتهموا أهل قرطاجنة بالغش والخداع وتلمسوا جانب الشكاة ، وقالوا ان الاخوين « فيلايني » وهواسم العداءين القرطاجيين ـ خرجا قبل الموعد المضروب فاما أن يسمح لليونان بالركض حتى يبلغوا موقعا يدفن فيهم عداءاتهم حيين واما أن يدفن الاخوان فيلايني حيين حيث بلغاه• وكانوا يظنون انهما سيرفضان هذا الجزاء ، خاصة بعد رحلة الجري الطويلة تلك • غير ان الاخوين فيلايني رضيا

بالامر ، وتطوعا أن يدفنا حيين حيث وصلا ، وأن يكون ذاك الحد الفاصل بين الفريقين . وكان أن دفنا هناك في ربوتين أصبحتا من الشهرة بمكان كبير ، ودخلا التاريخ بخروجهما من الحياة بهذه الطريقة التي ارتضياها معا !

ولقد ناقش السيد « هاينز Hynes » في كتبه « دليل أثري وتاريخي لآثار ما قبل الاسلام في طرابلس الغرب » هذه القصة في موطنها . وأشار الى النصب التذكاري الذي قيل ان القرطاجنيين بنوه لبطليهم ، وحاول تحديد الموقع بأكثر ما يمكن من الدقة ، ورأى أن الحدود الفاصلة كانت في حجر الرأس العالي في جنوب خليج سرت . وذكر أن نصبا رومانيا وجد في « قرارة قصر التراب » يرجع الى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد ، مما يؤكد وجود الحدود . غير أنه شكك في قصة الاخوين «فيلايني» وحسبهاضربا من الخيال، مؤيدا شكه بأن اسم فيلايني يوناني وليس قرطاجنيا .. وهو يعني « محبي الشهرة » .

لكن ماذا يمنع من أن يكون اللقب يونانيا اذ ورد في كتب اليونان ، وأن الاسم الاصلي قد ضاع ، فاستعاض عنه هؤلاء بتسمية فيها سخرية وهزء ، ما دامت الآثار تثبت نصيبا من الصحة كبيرا لهذا الحديث ؟

مهما يكن من أمر ، فقد ذهب اليونان ومضى

القرطاجنيون ، وتوحدت بلادنا وتوطدت أواصر وحدتها ، ولم يبق شيء الا أخبار تروى وقوس منصوب هو تجميل للطريق واستراحة للمسافرين !

اسبار في بطون الاسفار

العادات والتقاليد جزء من حياة الشعوب لا ينفصل، وبها يتميز ويختلف بعضها عن بعض • ومن العادة ما يكون مستحسنا في بيئة مستقبحا في اخرى ، ومنها ما يكـون محببا في عصر مستهجنا في عصر آخر • لكنها على كل حال أمر يتبعه عامة الناس ويتفقون على تأديته والقيام به ،ومن هنا يستمد التقليد ـ أو « السبر » ـ كمـا نعبر عنه ـ قوته وتأثيره •

ومجتمعنا الليبي ملىء كغيره من المجتمعات بـأعداد لا تحصى من العادات ، منها الخير النافع وفيها الضار الذي آن له أن يزول ويمضي الى زوايا النسيان •• وليس هنا مناقشة مدى النفع أو مدى الضرر ، وانمـا هـي اشارة عابرة لا تطول • غير ان للعادات تاريخا مديدا يعرفه علماء الاجتماع ويدرسونه واستخلصوا من هذا نتائج على قدر كبير من الاهمية والقيمة • وقد لفت نظري ـ وانا اطالع

شيئا من ماضي بلادنا ـ وجـود مجموعة مـن العادات و « الاسبار » ـ ان جـاز التعبير ـ نقوم بها اليـوم ، وهي في الماضي السحيق كانت تقاليد للقدماء ، تميزهـم حتى ليذكر المؤرخون الطائفة منهم ويقرنونها بتقليد متبع مشهور لديها .

ونحن نعرف حرص فتياتنا ونسائنا ـ على الاقل قبل عشر سنوات خلت ـ على التزين بالخلاخيل الفضية ،تكبر حجما وتصغر ، يضعنها حول الساق ويضربن احدها بالآخر لتكون رنة تلفت الانظار وتدير الرؤوس وتسلب الالباب. وقد كانت نساء قبيلة الادورما خيداي يضعن حول سيقانهن هذه الخلاخيل وان لم تكن من فضة بل هي برونزية كن اقصى ما يطمحن اليه . وكذلك كانت تفعل نساء قبيلـة الجندانس ، وكن أرق حالا ، فاكتفين بحلقات من الجلد ، يثير النظر ولا يثير السمع وقنعن بها صابرات !

وحين نرفع البصر من القدم الى الرأس نجد عـادة لا يزال اهل البداوة عندنا يتبعونها ، حين يحلقون الرأس كله ولا يبقون سوى ذؤابة في قمته يضمنونها بالطيـوب ويرسلونها زينة للشباب .. وكذلك كان يفعل أبناء قبيلة المكاي .

وقد كان لشعر الرأس تقديره الكبير وان اختلففيه الترتيب . وكانت قبيلة المخلويس ترسل شعـر الـرأس

طويلا وتعقصه الى الوراء ، بينما يفعل الشيء نفسه ابناء قبيلة الاويسيس غير انهم يسدلونه الى الامام ، ينافسون بهذا خنافس اليوم من كل شعب وجنس ! ولا زلت أذكر كيف كان والدي ــ رحمه الله يحرص ، بعد ما ينتهي من ذبح اضحية العيد الكبير ، على ان ينتزع طحالها ويرمي به أعلى باب الدار ، فيظل ملتصقا هناك مدة حتى تسقطه الشمس والريح ، ولم أكن أدري لهذا سرا . حتى اذا مر الزمان عرفت ــ فيما عرفت ــ انه كان من عادة قدماء الليبيين ــ كما يذكر هيرودوت ــ ان يقطعوا أذن الضحية ويلقوا بها فوق البيت قربى لبواكير المحصول الجديد .

ونحن اليوم عرب مسلمون ، وديننا يحرم علينا أكل لحم الخنزير ، وليس هذا طارئا علينا ، فقد كان الاجداد لا يأكلون لحم الخنزير ابدا ، وكذلك فعلت نساؤهم اللاتي تزوج منهن اليونان الذين قدموا في القرن السابع قبل الميلاد ، واستمرت عادة في قورينا ومدينة « برقة » او المرج الحديثة .

وكم من تاريخ هو عادة ، وكم من عادة هي تاريخ !

النسوة المحاربات الطيبات القلوب

قد نعتبر القصة التالية تاريخا ، وقد نحسبها خيالا علميا ، وقد نسلكها في عداد الاحداث الطريفة التي تروى، أو نستلهم منها معنى من معاني الحياة القديمة في هذه البلاد ، تشير الى ظاهرة وتلمح الى اسلوب حياة •

والقصة يرويها « ديودروس الصقلي » في مؤلفه « المكتبة التاريخية » وهو يقول انه نقلها عن « ديونوسيوس السكندري » الذي عاش في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد ، وهي تتحدث عن « الامازونات » النساء المحاربات اللاتي كن في ليبيا وخرجن منها واكتسحن البلاد شرقا وكان عملهن العجب العجاب •

قال ريودروس : كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، في الاجزاء الغربية من ليبيا شعب تحكمه النساء، وقد عكسن الآية وقلبن الاناء ، وبدلن من موازن الاشياء• كانت النسوة في هذا المجتمع يقمن بالخدمة العسكرية

ويمسكن بزمام الامور السياسية والاجتماعية ، ويشتركن في الحملات الحربية • وكان للرجال المطبخ والدار ، يربون الاطفال ويتعهدونهم بالرعاية والعناية ، وينفذون ما تصدره اليهم نساءهم من اوامر لا يعصونهن في شيء • وكانوا مكممي الافواه عن الكلام خشية الثورة او الانتفاضة ، بل كان للمرأة عندهم القول الفصل والامر والنهي والطلب والمنع • قال : وهن سمين « أمازونات » لان كلمة Amazon تعنى باللسان اليوناني : المنزوعة الثدي • وقد كن يفعلن هذا لحكمة ارتأينها وهي ان لا يعوقهن شيء عند القتال ، فيضربن بالقوس وبالرمح وبالسيف ، ويهجمن على العدو هجمة ضارية فلا تبقي ولا تذر !

حول جزيرة « هسبيرا » التي كانت تقع في سبخة « تريتونس » كان هذا المجتمع الغريب يعيش • فلما اشتدت قوة الامازونات وشعرن بزهو الجبروت كان لا بد ـ وبحسب طبيعة الاشياء ـ ان يركبهن غرور القوة وان يتطلعن الى الغلبة على الجيران من المواطن والشعوب• فقمن على الجزيرة المذكورة وأخضعنها ، وشددن الحملة على بقية القبائل حضرا وبدوا ، وشيدن مدينة وسط السبخة أسمينها « خرونيوس » نسبة الى شكلها وهي تعنى : « شبه الجزيرة » حرفيا •

وتمضي القصة فتقول : ان الامازونات المحاربات انطلقن من هذه المدينة غازيات يدفعهن الشوق الى اكتساح المعمورة ، وكان « الاطلانطيون » أول من صادفهم وكانوا قوما متمدينين ذوي مدن عظيمة وبلاد زاهرة ، فدمرن بلادهم وهزمن جيشهم ودخلن عاصمة ملكهم وألقين الرعب في قلوبهم وقلوب جيرانهم ، وكانت الملكة «مورينا» زعيمة الامازونات تقود الحملة بنفسها على رأس ثلاثين الف وثلاثة آلاف فارسة ، يتخذن من جلود الافاعي أدوات دفاع ، ومن السيوف والسهام والرماح أدوات هجوم ، يضربن بها وجه العدو فان شد عليهن انطلقن امامه ثم كررن عليه بالسهام من وراء ظهورهن بتصويب دقيق •

قال : فلما فتحت الملكة مورينا عاصمة الاطلنطيين سارع هؤلاء يعلنون الولاء كما فعل غيرهم من القبائل والطوائف المجاورة ، فسلكت نحوهم مسلكا كريما وأنشأت لهم مدينة تحمل اسمها ليعيشوا فيها بدلا من مدينتهم التي دمرت عن آخرها •

كانت الامازونات الليبية على دماثه في الخلق ، رغم قوة بأسهن ، وكن طيبات القلب ، وهذا ما دفعهن الى اسداء فضل عظيم للذين استنجدوا بهن من رعاياهن الجدد •

بين الأمازونات والغرغونات

قلت ان الامازونـات احتللـن عاصمـة الاطلنطيين ودمرنها وأخضعن أهلها لسيطرتهن ، وكذلك بقية القبائل المجاورة فلما جثا هؤلاء أمام قوتهـن العظيمة وأعلنـوا الولاء ، وقدموا الهدايا السنية ، أمرت مورينـا ملكـة الأمازونات ببناء مدينة جديدة تحمل اسمها وأسكنت من رغب فيها .

ولم تكن الأمازونات وحدهن النسوة المحاربـات ، بل كان هناك نسوة أخريات ينافسهن في الامر ، وكـان اسمهن « الغرغونات » .

كانت الغرغونات على جلافة في الخلق وسوء في الطبع وشراسة في المعاملة ، وكن يضايقن بهجماتهن وغزواتهـن الاطلنطيين وجيرانهم مضايقة شديدة . فلما رأى هـؤلاء بأس الامازونات وقوتهن وطيبة قلبهن ، وعلموا أن خـير من يحارب المرأة هي المرأة نفسها ، بيتوا أمرا . فجـاءوا

الى الملكة مورينا وأخبروها بما يلاقون من الغرغونات ، والتمسوا منها أن ترد عنهم شرهن وتدفع أذاهن .

استجابت الملكة مورينا للطلب وهيأت نفسها للقاء الغرغونات ، وزحفت على بلادهن بجيشها النسوي الجبار ، وكانت الغرغونات قد تهيأن بدورهن للصدام وأخذن أهبتهن للقاء الامازونات . وكانت موقعة عظيمة علا فيها الغبار وثار ، حتى سد الاقطار . ثم انجلى الموقف بعد حين عن انتصار الامازونات انتصارا عظيما ، فقتلن من قتلن ، وأسرن ثلاثة آلاف غرغونة عدا ، وفرت البقية الباقية ، الى غابة كثيفة يحتمين بها من هول المصير .

ولقد فكرت الملكة مورينا في احراق الغابة بأجمعها لتخلص الناس من شر الغرغونات ، غير أنها عدلت عن فكرتها حين رأت استحالة الامر ، ولكي يأتي «بيرسيوس» ـ في الاساطير اليونانية ـ بعد ذلك ليسحق الغرغونات ويقتل زعيمتهن « ميدوسا » كما هو مشهور في أحداث العالم القديم ، والتي لا تزال صورة لها بالفسيفاء محفوظة في متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس .

اما من أسرت الامازونات من الغرغونات ، فقد جيء بهن الى مكان وضعن فيه . ثم غفلت الامازونات عنهن وانشغلن مطمئنات الى فوزهن الساحق بتدبير أمورهن . وفي ليلة من ذات الليالي قامت الغرغونات الاسيرات فجأة

واستللن سيوف الغافلات من الامازونات ، وعملن فيهن قتلا وذبحا .

غير أن الامر لم يطل ، اذ تكاثرت الامازونات وتنادين من كل جانب ثم أجهزن على ثلاثة آلاف غرغونة أسيرة وقضين عليهن .

قال ديودروس : وقد سقط في هذه الليلة من جند الملكة مورينا الكثيرات ، فحزنت عليهن حزنا شديدا ، وأقامت لهن جنازا كبيرا يليق بمقامهن وأحرقتهن تكريما على ثلاثة أكوام من الخشب ، ثم دفنتهن وأعلت ثلاثة تلال من التراب كمقابر لا تزال تدعى « روابي الامازونات » حتى اليوم .

قال : وكفكفت الملكة مورينا دموعها ، وضمدت جراحها ، ثم قررت ان تفتح العالم كله لتدفن أحزانها . فسحبت جيشها على بقية أنحاء ليبيا ، واتجهت شرقا الى مصر ، لتلتقي هناك بملكها المشهور « حورس » بن « أزيس » و « اوزيريس » وليكون لها أعظم الفتوحات !

من مصر الى بلاد الاناضول

تركنا الملكة مورينا ، ملكة الامازونات ، وقد يممت نحو الشرق تبغى فتحه • وفي مصر كان حورس بن أيزيس وأوزيريس ملكا ، فلم يشتبك معها في حرب ، بل استقبلها اجمل استقبال وعقدت معه معاهدة صداقة وحسن جوار ، كما يقول ديودروس الصقلي •

ومن مصر قادت مورينا جندياتها ، فارسات وراجلات ، الى البلاد التي تقع شرقها ، فعبرت برزخ السويس وصحراء سيناء حتى وصلت الى بر الشام ، وهناك دخلت في معارك عنيفة أسفرت عن انتصارها الكبير •

قال : فاحتلت هذه المناطق كلها ، سهلها وجبلها ، واخترقتها شمالا حتى بلغت جنوب آسيا الصغرى ، فوجدت هناك شعبا يدعى أهله « القليقيين » ، وقد سمعوا عن جرأتها وشجاعتها وقوة جيشها وطيبة قلبها ، فما راموا

لقاءها بل خرجوا لاستقبال مورينا استقبالا كريما يليق بها ، وقدموا لها الهدايا والقرابين • وكانت على العهد بها كريمة العنصر رائعة المسلك ، فعفت عنهم وتركتهم دون أذى ، فسموا منذ ذلك اليوم « القليقين الاحرار » لهذا السبب ، واستمر ذلك الاسم عالقا بهم حتى عهد ديودروس على أيام يوليوس قيصر •

لكن مورينا لم تترك الذين وقفوا في وجهها محاربين من سكان جبال « طوروس » ـ وكانوا يعتبرون من أشد الناس في القتال ـ فهزمتهم ، وواصلت مسيرتها العظمى الى ما كان يدعى « فروجيا الكبرى » في بلاد الاناضول ، ثم هبطت الى شاطىء البحر الابيض المتوسط المطل على هذه البلاد • فاستولت على جميع المواطن على ساحله ، وثبتت حملتها عند حدود نهر « كايكوس » الذي يصب في بحر « ايجة » في أرخبيل اليونان •

ولم يكن زحف الامازونات الليبية زحفا مدمرا، بل كان فيه خير وفيه نفع • فقد كن ينشئن المدن ويعمرن الدساكر ويؤسسن القرى • من ذلك مثلا مدينة « مورينا » في شمال غرب آسيا الصغرى باسم الملكة القائدة ، ومدينة « ميتوليني » في جزيرة « لسبوس » باسم أختها ومساعدتها الأمينة ومدينتا « كومى » و « بريني » في أيونيا ومدينة « بيتانا » في موسيا بالاناضول • وكل

هذه مدائن مشهورة حتى اليوم لا تزال تحمل نفس الأسماء وتحتشد فيها الاثار والمعالم ، وهي كلها مدن ساحلية أنشأت الامازونات الى جانبها مدنا في الدواخل والاقاليم لا تعد .

قال ديودروس :

فلما أكملت الملكة مورينا فتوحاتها في البركان لا بد لها أن تتجه الى البحر لتفتح جزره وبلدانه . وبينما هي تقوم بهذا ــ وهي تتنقل من جزيرة الى جزيرة ــ قابلتها عاصفة عاتية وهي في أليم ، وعلت من حولها الامواج ، فراحت تدعو الربة الليبية « كوبيلي » أن تنجيها وجيشها من الهلاك ، وتنذر لها النذور . فألقت بها الامواج على شاطىء احدى الجزر الخالية، ونجا من معها من الامازونات من الموت غرقا .

قال : وكان أن رأت مورينا ربتها في المنام تدعوها الى أعمار الجزيرة الخالية وجعلها حرما مقدسا لها . فأطاعت ونفذت وبنت في الجزيرة مساكن وأحيت أرضها الميتة ، وأقامت فيها نصبا وقدمت القرابين ، وأسمتها « ساموتراكي » التي تعنى في اللسان اليوناني : « الجزيرة المقدسة » ، وهي لا تزال معروفة حتى اليوم .

يقول المثل : «صيور الغريب بلاده » . وكان لا بد أن تعود الامازونات الى وطنهم ليبيا بعد هذه الرحلة الطويلة ، ولهذا قصة أخرى تستحق أن تروى وتذاع .

خاتمة وسؤالان

بينما كانت الملكة « مورينا » وامازوناتها يعشن في رغد وهناء بالجزر والبلدان التي احتللن وانشأن ، كان يقوم صراع عنيف في بلاد أخرى من بلاد آسيا الصغرى هي « تراقيا » . وكان يحكمها طاغية جبار يدعى « لوكورجوس » كان من منافسيه رجل يسمى « موبسوس » فقام الطاغية بنفيه من البلاد وامر باخراجه طريدا شريدا . فلما خرج موبسوس منفيا ... قابله في طريقه رجل آخر مغضوب عليه يدعى « سنيبيلوس » من أهل « سكيذيا » المتاخمة لتراقيا .

ترافق المنفيان وتصادقا . وجمعا عددا آخر من المنفيين وكونا جيشا واحدا يعيثان به فسادا في الارض . وكان مقصدهما موطن الامازونات الليبية التي استقر بها المقام وطابت لها الحياة .

قال ديودروس : فجاء الطريدان بجيشهما المكون من

مرتزقة المنفيين وبدأ في الزحف على ارض مورينا وأمازوناتها • ثم اشتبكا معها في معركة ضارية رهيبة أسفرت في نهايتها عن انتصارموبسوس التراقي وسيبولوس السكيذي ، وعن مقتل الملكة مورينا وقسم كبير من جيشها •

غير ان بقية الامازونات لم يستسلمن ، وظللن يصارعن القوة الجديدة بشجاعة فائقة حتى اذا ما فاقهن الخصوم عدة وعددا ، وأتت الايام بهزيمة اثر اخرى ، اضطررن الى التفكير في المصير ، وقررن العودة الى ليبيا من حيث أتين •

قال مؤلف (المكتبة التاريخية) : « وهكذا كانت نهاية الحملة التي قامت بها أمازونات ليبيا كما تقول الاسطورة » •

ونستطيع أن نثير من هذه الخاتمة سؤالين : هل كانت هناك امازونات أخرى غير الامازونات الليبية ؟ وهل قصتهن أسطورة ام تاريخ ؟

أما عن السؤال الاول فنعم • وهو ما يذكره ديودروس الصقلي وغيره عن أمازونات نهر « ثرمودون » في منطقة بحر مرة • غير أنه اراد ان ينبه الغافلين الى ان امازونات ليبيا كن أسبق وأعظم ، الا أن الزمن عفى على أخبارهن ، فقد عشن واندثرن كما يقول قبل أجيال من

حرب طروادة في القرن الثاني عشر ق٠م٠

وأما عن السؤال الثاني فلست أدري نصيب كل من الاسطورة والتاريخ في الامر ، فان كانت الاولى فهي كغيرها مما عند المصريين والبابليين والاغريق والهنود والاوروبيين ، وان كانت الثانية فان التاريخ حافل بالعجائب والغرائب ، وتاريخ ليبيا على وجه التخصيص ٠

ولقد اشار السيد اوريك بيتس في كتابه « الليبيون الشرقيون » الى الامازونات واستخلص من القصة مغزى اجتماعيا يكمن في ما يعرف بالمرحلة الاomومية Matrilinity حين تسيطر المرأة وتحكم وهي مرحلة تمر بمختلف المجتمعات ٠

بقيت خاتمة للحديث تتلخص في ذكر من نقلت عنه أن « هرقل » جاء الى ليبيا وقضى على الغرغونات والامازونات معا ، حرصا منه على أن لا يسمح بأن تحكم النساء مجتمعا يرعاه ٠

مسكين هرقل ، فلم يكن يعلم ان المرأة ابدا هي الحاكمة ، وان كانت في الظاهر محكومة !

اليهودي الافاق

هل هناك موقع في هذه الكرة الارضية يخلو من أن يكون لليهودي فيه تطواف ؟ وهل هناك موضع لم يعث فيه فسادا ؟

ابدا • فقد كان هذا الشعب منذ القدم يلهث وراء نفعه ، ويدس أنفه في كل شيىء يتوقع منه ربحا ، ويحث الخطى الى أي مكان يستطيع أن يجني فيه فائدة أو يثير شغبا أو يضر بانسان • وقد كان ديدن اليهود في ليبيا ما ذكرت ، وهم عاشوا في قراها ومدنها ، وكان لهم فيها تاريخ أسود مليء بالانانية والحقد وسوء الطبع •

وفي فصل طيب من كتاب الدكتور مصطفى عبد العليم « دراسات في تاريخ ليبيا القديم » الذي أصدرته منشورات الجامعة الليبية ، حديث مفصل عن علاقة اليهود بهذه البلاد • وهو يذكر أن هذه العلاقة بدأت بعد عام ٣٣٢ ق•م عندما أوفد بطليموس الاول ـ والى الاسكندر

الاكبر على مصر ـ فريقا منهم ، الى قورينا ليسيطر على المدينة من خلالهم وليتدخل في شئونها • وكان هذا الفريق ذا صبغة عسكرية يتكون في جملته ممن أسرهم بطليموس في غزواته لفلسطين •

ثم بدأ البطالمة منذ ذلك الحين في تشجيع اليهود على التوطن في ليبيا والاستقرار بهـا ، تبعـا لسياستهم مـع مختلف الجاليات الاجنبية الاخرى •

ولقد كان الامر كما أراد البطالمة ، حتى تكونت في مختلف أنحاء ليبيا الشرقية جاليات يهودية متميزة كـونت ثروات عظيمة وأصبحت ذات غنى وثراء • وكان في قورينا نفسها جماعة من اليهود تدل عليهم الآثار التـي اكتشفت والكتابات التي سجلت • ومن الطريف أن نذكر هنـا ما يعتقده المسيحيون وجاء في أناجيل متى ومرقص ويوحنـا وبولص من أن الذي حمل صليب المسيح ـ عليه السلام ـ هو شمعون ـ أو سمعان القوريني ، فلاح أجبره القـوم على حمل الصليب •

غير أن اليهود في ليبيا لم يستطيعوا الاندماج فـي المجتمع كما فعلـوا في بلاد اخـرى ، كالاسكندرية أو أنطاكية مثلا ، بل كانوا يعيشون في طبقة خاصة بهم عـلى نظام « الحارة » الذي نعرفه منذ زمن غير بعيد • وكـان تاريخهم في هذه البلاد مليئا بالفتن والتخريب والتدمير •

واني لأذكر من أهم هذه الفتن اثنتين هما مشهورتان على التاريخ ، اولاهما حوالي عام ٧٠ والثانية كانت عام ١١٥ للميلاد .

في عام ٦٦ ميلادية قام المستضعفون من اليهود في أورشليم بثورة ضد الطبقة العليا منهم وضد حكم الرومان ، وكان من نتائجها تدمير الهيكل وأن ضرب الرومان بشدة وعنف ، ففر فريق من غلاتهم يسمون السيكارى Sicarii يتزعمهم رجل يدعى « يوناثان النساج » وصفه المؤرخ اليهودي « يوسف » بأنه زنيم أشر ، وذكر أنه نجح في استمالة عدد ليس بالقليل من يهود قورينا المعدمين ، وقادهم الى الصحراء وعم شرهم المناطق المحيطة بالمدينة واستفحل مثل الوباء .

لكن الطبقة العليا الغنية من اليهود في المدينة خشيت العاقبة ووشت بيوناثان لدى الحاكم الروماني كاتلنوس، فأرسل اليه حملة وقبض عليه . قال : فادعى يوناثان أن أغنياء قورينا من اليهود حرضوه وشجعوه ، فأمسك الحاكم الروماني بهم وقتل ثلاثة آلاف منهم واستولى على ثرواتهم ، ثم بعث بيوناثان الى روما يرسف في الاغلال ، فأحرقه الامبراطور « فسباسيان » بعد أن أذاقه صنوفا من العذاب .

كان الصراع في حقيقته بين اليهود أنفسهم – بين

الأغنياء والفقراء ـ سواء في فلسطين أو في ليبيا ، لكن تنائجه حملت نذرا خطيرة انعكست في تصرفات اليهود بعد ذلك وفي ما قابلهم به غيرهم من معاملات •

وكانت هذه الفتنة نذير فتنة اخرى أعظم هولا وأشد خطرا وبها دمرت قورينا الزاهرة الجميلة •

لوقا المجنون

باءت فتنة « يوناثان النساج » بالفشل ولاقى جزاءه الحق في روما حرقا ، ومضت من بعده خمس وأربعون سنة ، توالى في أثنائها على عرش روما أباطرة ، حتى جاء الامبراطور « تراجان » ، وكان قد ساق حملة الى المشرق اضطر معها الى سحب جزء كبير من الحاميات الرومانية في ليبيا . وكانت العلاقات بين اليهود من جهة وعناصر سكان ليبيا من جهة أخرى على قدر كبير من السوء ، وكانت نذر الفتنة تبدو في الافق .

هنا انتهز اليهود الفرصة ونظموا ثورة عارمة عام ١١٥ ميلادية ، بدأت في قورينا ثم امتدت لتشمل المدن الخمس والاسكندرية وبقية أنحاء المقاطعات الرومانية ، وحيث كان يهود .

ويحدثنا الدكتور مصطفى عبد العليم في مؤلفه المذكور عن هذه الثورة المدمرة فيقول : ان اليهود نصبوا

عليهم زعيما يدعى « لوكواس » ، واتخذ لقب « ملك »
واستطاع أن يستولي على قورينا ويستبيحها لاتباعه •
وكان في انتقامه من أعدائه متوحشا شرسا ، فتك حين
تمكن ، وأهلك حين استطاع •

ويورد المؤرخ « ديوكاسيوس » وصفا مثيراً لوحشية
اليهود في مهاجمة الاغريق والرومان وأهل قورينا جميعا ،
فنقرأ : « أنهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ، ويصنعون من
أمعائهم أحزمة يتمنطقون بها ، ويلطخون أجسامهم بدمهم،
ويسلخون جلودهم ويتخذون منها ملابس لهم ، وأنهم
عمدوا الى كثيرين منهم فشطروهم شطرين من رأسهم
الى أسفل، وألقوا بآخرين الى الوحوش المفترسة،وأرغموا
الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا كما يفعل المصارعون•
وقد بلغ عدد الذين أهلكهم اليهود مائتين واثنين وعشرين
ألف نسمة » •

الى هذا الحد بلغ حقد اليهود وانتقامهم ووحشيتهم•
وهم لم يكتفوا بالقتل والنهب ، بل عمدوا الى كل مظهر
من مظاهر الحضارة فدمروه وأحرقوا كل ما وقع في
طريقهم • من ذلك ما لحق بطريق الوادي في المدينة ومعابد
«زيوس» و «ديمتر» وأبوللو و «ارتميس» والتوأمين
« الديوسكوري » و « هيكاتي » و « بلوتو »
و « ايزيس » ومعبد صغير جنوب مذبح « أبوللو »

و « القيصريوم » وبعض المباني الواقعة الى الشمال من الحمامات ، ولا تزال آثار الحريق عالقة بها حتى يومنا هذا ، والحمامات نفسها والمسرح الواقع الى الغرب من مقصورة « أبوللو » والقسم الشمالي من السوق والمبنى المعروف باسم قبر « أونوماستيس » و « الكابيتول » وبوابة المدينة على طريق سوسة ، وخزان المياه خارج عين « أبوللو » ومبنى « البروتانيوم » والمسرح الواقع الى الغرب من « القيصريوم » .

وقد عمت ثورة اليهود في قورينا البلاد كلها ، فشملت ما نعرفه اليوم باسم مدن ومناطق : سوسة والصفصاف والقبة وطلميثة وبنغازي وتوكرة ، والطرق التي تربطها ، ثم اقليم « مرمريكا » حتى منطقة الضبعة في مصر ، واجتاحت الريف والسهل والجبل والصحراء ، ودمرت المعابد والهياكل ومثلت بخصومها كل تمثيل .

كان عام ١١٥ للميلاد عاما سيئا حمل في ايامه خراب قورينا ، وظهرت فيه شراسة اليهود وسوء نواياهم ، ولم يفلح فيهم ما حاوله الرومان معهم من لين ومحاباة . وكانوا بقيادة زعيمهم « لوكواس » يخططون لمسيرة اكبر ويشعلون نار الفتن في كل مكان .. في الاسكندرية وقبرص وفلسطين ، يقتلون ويدمرون ولا يبقون على شيء .

غير أن للقصة بقية احسب أنها تستحق التسجيل .

ذهبوا شذر مذر

هناك فكرة معينة تسيطر على عقول اليهود وعواطفهم مؤداها أنهم شعب الله المختار ، وأنه سيخرج من بينهم يوما مسيح منتظر يكون ملكا على العالم كله ، يحكمه ويتصرف فيه ، ويخضع بقية شعوب العالم لمشيئته ، والذين قرأوا كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » وعددا آخر من كتب اليهود المقدسة يدركون الى أي مدى يخطط هذا الشعب وما هدفه البعيد . وهم لهذا السبب رفضوا دعوة المسيح عيسى بن مريم الى المحبة والسلام والتآخي بين بني الانسان .

ويهمنا من هذا الجانب ما يتعلق بثورتهم المدمرة في شرق ليبيا عام ١١٥ للميلاد التي مر ذكرها . وقد رأينا كيف اتخذ زعيمهم في هذه الثورة (لوكواس) أو (لوقا) لقب « ملك » وكيف حطم ما كان في طريقه من منشئات دينية ومعابد ، وكيف قتل في مدينة قورينا وحدها مائتين

واثنين وعشرين الف نسمة . ذلك لانه كان يسير بـروح دينية متعصبة حاقدة ، وكان لا يطيق أن يخالفه أحـد في المذهب الا أن يخضع له ويستكين ، وهذا هـو التفسير الذي اورده الدكتور مصطفى عبد العليم في كتابه المذكور من قبـل .

قال : ولم تكن ثورة اليهود تلك خاصة بليبيا وحدها، أو هي لم تكن مقصورة عليها فحسب . بل انها اتخـذت منها منطلقا لبعدها عن مراكز الامداد العسكريـة مـن ناحية ، ولانشغال الرومان يومذاك بحربهم في المشرق عند منطقة « بارثيا » من ناحية أخرى . فلما نجحت الثورة في نواحي برقة ، وقضى اليهود على ما راموا القضاء عليـه أغراهم هذا النجاح على الزحف غربا الى مصر لنجـدة يهودها ، وكان الاغريق والرومان قد فروا من ليبيا ومضوا الى الاسكندرية ينتقمون ممن فيها من يهود . أعمت فكرة الخلاص « لوكواس » وجنوده عن تقدير الموقف حـق قدره ، وسيطر على عقولهم شيء واحد هم أنهم جند الرب الذي سيقودهم لا محالة الـى نصر محقـق ، فاندفعوا مسلوبي الارادة يقتلون ويدمرون ويبطشون بالاغريـق والرومان على حد سواء .

وفي شتاء عام ١١٦ ميلادية بلغوا مشارف الاسكندرية وعاثوا فيما حولها فسادا ، واستمر الحال حتـى صيـف

١١٧ م حين بعث اليهم الامبراطور تراجان ـ وكان قد أتم حملته في المشرق ـ بقائد من أشهر قادته هو « ماركيوس كوربو » فأخمد الثورة ، وقضى على جيش « لوكواس » ، ثم أتى به الى الاسكندرية وعرضه أمام الجماهير ، ثم قتله بعد ذاك . واتجه « ماركوس » الى قورينا واقتحم أسوارها وأنزل باليهود هزيمة ساحقة وبذا انتهت الفتنة وأخمدت الثورة .

ولقد نتج عن هاتين الفتنتين نتيجتان هما مذكورتان معروفتان : أما الأولى فقد كانت تشتت اليهود في ليبيا وهجرتهم الى البلاد الداخلية خوفا من الانتقام ، بعد ان فشلوا كل هذا الفشل الذريع . فاتجهوا شرقا الى آير وحول النيجر المتوسط الى السنغال واقليم فوتا في غرب افريقيا ، حتى موريتانيا ، وجنوبا حتى تشاد ، وانصهروا هناك في القبائل والشعوب وامحت اسطورة شعب الله المختار .

وأما الثانية فقد كانت تدمير قورينا واضمحلال « المدن الخمس » رغم ما حاول أن يقوم به الامبراطور « هدريان » وخلفاؤه من اصلاح وترميم .

الا فليذكر بنو الرومان واليونان ما فعل بهم اليهود ، ولتذكر كذلك الاطلال !

الحفر من اجل التاريخ

فلنفرض جدلا أن دارا أنيقة من دورنا الحديثة الرشيقة اختفت فجأة عن الانظار ، وغابت بطريقة ما . ومر ألف عام ، وقد تغير العصر غير العصر وتبدلت الارض غير الارض . وفي عام ١٩٦٨ م. يأتي أثري بحاثة يستكشف وينقب ، وفجاة وبطريقة ما ، يعثر على هذه الدار ويجدها هي لم تنقص شيئا . فيزيح التراب وينفض الغبار ثم ينظر . يجد « الصالون » الامريكي الطراز ، وجهاز التلفزيون في موضعه ، والتليفون كذلك . اللوحات معلقة على الجدار ، والبسط تكسو الارضية ، وكل شيىء ينبىء عن ذوق أوربي أو أمريكي معاصر لنا هذه الايام . فهل من حق باحثنا أن يدعي أن صاحب المسكن كان غير ليبي على هذا الاساس ؟

أنا شخصيا لا أعتقد أن من حقه ذلك ، وانما عليه أن يبحث أكثر فأكثر ليطلع على آثار صاحب البيت نفسه

ويعرف أنه رجل ليبي من هذه الآثار •

ان المثل نفسه يمكن أن يطبق على مدننا الاثرية في شرق البلاد وغربها ، أما الجنوب فلا شك فيه ولا جدال ذلك لان الفكرة القائلة برومانيـــة لبدة وصبراته وأويـــا ويونانية المدائن الخمس فكرة لم تعد تصمد لحجاج ، فان أثر العنصر الليبي فيها بدأ يتضح يوما بعد يوم • فان كان طابع الحضارة ما ذكرت فان هذا لا يغير من الامر شيئـــا ولا ينفي مساهمة أهل البلاد الاصليين في نشأتها وتطورها ونمـــوها •

وفي بحث موجز مفيد قدمـــه البروفسور « ل•أ• تومبسون L.A. Thompson » الى مؤتمر كلية الآداب « ليبيا عبر العصور » بعنوان : « رومان ووطنيون في مدن طرابلس الغرب في بواكير الامبراطورية » جواب عن السؤال المطروح •

ولقد تعرض الكاتب الى الاسر الرومانية التي تليبت في لبدة وصبراته وأويا ، ثم انتقل بعد ذلك الى الحديـــث عن الأسر الليبية ، أو الليبية ــ الفينيقية على حد سواء • وهو يذكر من الاسماء الليبية لعائلات معروفة مشهورة : عائلة الطبابي ، وعبد بعل ، ومتون ، وحنو بعل ، وبنكرط وغيرها من العائلات • وأخرى ترومنت من مثـــل : أسر كلاودي وباكي وماركي وأسرة سبتمي بطبيعة الحال •

قال : وبدراسة مقارنة لأسماء شيوخ احتلوا أماكنهم

في « مجلس الشيـوخ » الروماني نجـد أربعة يدعـون سبتميوس من لبدة ، ورجلا يسمى ميسيوس من صبراته، وآخر من أويا هو آيميليوس ، وكلهم ذوو أصل ليبي أو على الأقل وشائج ليبية . هذا بالاضافة الى أسماء أخرى نالت رتبا عالية في الخدمة العسكرية واحتلت مراكز هامة لا تنكرفي عهود الاباطرة «أغسطس وتبريوس وكاليجولا» .

ونحن نجد أسماء أخرى يذكرهـا بليني الأكبر في « رسائله » تدل على أن مقاليد الامور بالنسبة للقضـاء كـانت في أيدي رجـال ليبيين ، نذكـر منهم فلافيوس ماركيانوس وفيتليوس هونوراتوس . وبعد حديث مدعم بالمراجع والمصادر يقول البروفسور تومبسون :

« لقد كانت العناصر الليبية تسيطر في القرن الاول بعد الميلاد على مختلف نواحي الحياة في المدن الثلاث ، وكانت هناك طبقة برجوازية تتحكم في نشاطاتها المختلفة .

فـي كتـاب « الحفـر بحثـا عن التـاريخ » يوضح مؤلفه السير « ادوارد بيكون » مساهمة الليبيين في الحياة العامة والخاصة في الحضارات التي قامت علـى أرضهم . وهو يذكر أنه وجد في « بير الدريدر » نقض لغته ليبية وحروفه لاتينية عن قائـد فصيلـة برتبة كبيرة يدعى « يوليوس ناصف » . نعم « ناصف » وهو اسم ليبي ـ عربي بلا ريب .

وكم ستظهر من خبايا .. اذا واصلنا الحفر من اجل التاريخ !

والى الابل كيف خلقت

نحن نسميه « سفينة الصحراء » ، وهو قد كان ذلك الحيوان الضخم الأليف الصبور ، بما يتحمل من مشاق وما يحمل من أثقال .

ولقد ارتبط الجمل في الذهن بالصحراء وارتبطت هي به ، ذلك لأن كلا منهما يوافق طبيعة الآخر ، أو أن الطبيعة هي التي وافقت بين الطبيعتين . فاذا ما ذكرت الصحراء العربية والصحراء الليبية كانت الابل مدار الحديث ومركز الاهتمام ، طالما تغنى بها وغنى لها الشعراء وصفا ومدحا وحكاية لا تنتهي عند حد .

واذا كان هناك من حيوان أثر في مجرى التاريخ ، وغير من سير الاحداث ، وقلب صور المجتمع ، فان الجمل يقف في المقدمة بعنقه المنحني الطويل وتركيبه العجيب الغريب . ولقد ظن البعض أنه قديم في ليبيا قدمه في الجزيرة العربية وبعض بلاد آسيا الاخرى ، غير أن البحث

والدراسة أثبتنا أنه طارىء عليها حادث في أرضها ، لم تكن تعرفه ولا يعرفها الا في نحو القرن الاول قبل الميلاد . لكنه وجد ارضا صالحة فعاش ومناخا موافقة فأقام .

ويحدثنا الاستاذ عبد الله بعيو في كتابه « دراسات في التاريخ اللوبي » عن هذا الموضوع بتفصيل كبير . ونحن نفهم منه ان دخول الجمل الى ليبيا خاصة وشمال افريقيا بوجه عام يعتبر حادثا عظيما له خطورته ونتائجه ، وهو يقول انه يمكننا أن نعتبر ذلك بداية عصر جديد في تاريخ البلاد . فقد حدث به تطور كبير في حياة السكان وأعمالهم ونشاطهم التجاري ، لا سيما فيما يتعلق بذلك النشاط الذي ربط السواحل الشمالية باقليم السودان .

وكانت الابل في بداية أمرها نادرة قليلة ، وهي أتى ذكرها أول مرة في غنائم « قيصر » من الملك « جوبا » عام ٤٦ ق.م. حين غنم اثنين وعشرين جملا ، لكن العدد قفز الى أربعة آلاف عام ٣٦٣ للميلاد ، حين فرض القائد « رومانوس » على أهل لبدة امداده بها .

قال : ولا شك ان « اللوبيين » قد استفادوا كثيرا من ادخال الجمل في بلادهم ، فأحدث انقلابا في حياتهم الاجتماعية ومعيشتهم الخاصة وطرق تفكيرهم ، فاستغلوا به الصحراء وواحاتها ، واستطاعوا السفر مسافات طويلة .

ولقد ذكرت من قبل كيف هزم «كاباون» الطرابلسي جحافل الوندال بجماله التي لم تعرف هذه القبائل المتبربرة كيف تلاقيها عند النزال ، فكان عونا لليبيين في السلم والحرب على حد سواء •

كانت قبيلة زناتة – فيما يرجح – هي التي جلبت الابل الى ليبيا ، وكانت وأختاها لواتة وهوارة هي التي استقبلت العرب الفاتحين الاول يحملون رسالة الاسلام ، وينشرون دعوة نبيه الكريم •

لواته ترحب بابن العاص

في مكة ، ثم من بعد ذلك في يثرب ، ظهر الاسلام على يد الرسول الكريم محمد بن عبد الله ، وانتشر نوره يعم أرجاء العالم وتتجاوب اصداؤه في الآفاق يدعو الناس كافة الى الحق ويهديهم الصراط المستقيم .

ولقد جاهد الرسول ما جاهد ، ثم انتقل الى الرفيق الأعلى ، وخلفه الصديق أبو بكر ، وشغل بحرب الـردة ما شغل ، ثم جاء من بعده الفاروق عمر وعلى يديه تمـت أعظم الفتوحات الاسلامية .

كانت ليبيا في ذلك العهد تعاني الامرين عـلى يـد الدولة البيزنطية المنهارة ، وبقايا الروم والافرنج يتحصنون بأسوار المدن ، وقد غمر البلاد خراب يكاد يكون شاملا ، وفوضى دينية وسياسية لا حد لها . وكانت القبائل الليبية تسيطر يومذاك على ما عدا المدن من المناطق في الجبـال والسهول والصحراء ، وتقض مضاجـع الروم بغاراتهـا

وهجماتها . ولا بد أن أخبار انتصارات العرب المسلمين وفتوحاتهم قد ترامت الى أسماعها مع توالي هزائم الدولة البيزنطية في الشام وما حولها ، ولا بد أنها سمعت عن صفة هؤلاء العرب وعدلهم وسمو الرسالة التي يحملونها ، لهذا كان ترحيبها بهم عظيما واستجابتها لهم سريعة عاجلة .

ويحدثنا الدكتور احسان عباس في مقدمة كتابه « تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري » فيذكر نقلا عن ابن خلدون وابن عبد الحكم وابن حزم أن أهل البلاد كانوا ينقسمون آنذاك فرعين من أصل واحد : البتر والبرانس . اما البتر فمن بطونهم ، لواته وهوارة ومديونة ومكناسة وأداسة وزناتة . ومن البرانس : اوريغة وكتامة وصنهاجة ومصمودة وعسيجة وأوربة وأزداجة .

وكانت هذه القبائل والبطون تمتد على طول ساحل شمال افريقيا غربا وشرقا ، وان غلبت لواته في نواحي برقة وخليج سرت الكبير . ولذا فان من الصواب القول بأنها أول ما قابل العرب في زحفهم غربا بعد فتحهم لمصر .

واذا كان النسابون يتحدثون عن لواته فيرجعونها الى جدها « لوا » الاكبر بحسب الطريقة القديمة في النسبة الى الآباء والاجداد ، فان الاقرب الى المعقول أن يقال ان لواتة ليست سوى « اللبياتاي » او « الليبو » الاقدمين

حسبما ارتآه أغلب الباحثين ، ومر ذكره من قبل في هـذه الاحاديث .

قال : وكانت لواته تسكن في العصور الرومانية ـ وحتى الفتح الاسلامي ـ جنوب برقه وطرابلس ، في نفس المواطن التي عينها المؤرخون العرب فيما تلا من الزمان .

ونحن نعرف مما كتب وسجل ا نهذه القبيلة الكبيرة قد استطاعت ان تحظى باستقلالها ، وأن تنبذ سيطـرة الروم ، فلم تعد تدفع ضريبة أو تقيم لهم وزنا فكانت على نحو من الاستقلال يحول دون تدخل السلطات البيزنطية في شئونها ، ويعمل على حصر هذه السلطات في جملـة مواقع محدودة على الساحل لا تملك أن تخرج عنها .

كان الامر كذلك في ليبيا ، وكان الخليفة عمر بـن الخطاب ، رضي الله عنه ، يبعث بجيوشه الى أطـراف الجزيرة العربية ، ويفتح الامصـار في العـراق وفـارس وسوريا ونواحي الاردن وفلسطين .

حتى اذا ما كان عام ٢٠ للهجرة بعث بقائده العظيم عمرو بن العاص الى مصر ليفتحها ويخلصها من حكـم الروم وتنضم الى الدولة الاسلامية . وكان لا بد لابـن العاص من ان يؤمن ظهره ، ويطارد بقايا الروم في شمـال افريقيا ، وليبيا هي السبيل المؤدي الى ذلك ، وهي أول الفتوحات في هذا الساحل العظيم ، وكان عام ١١ هجرية هو ايذان بفجر جديد بدأ ينبلج من المشرق ليضم المغرب كله بعد ذاك .

عهد يوفى به

في عام ٢٠ للهجرة كانت سنابك خيل المسلمين تدق مدخل مصر الشرقي ، ثم كانت سيوفهم تدك حصن « بابليون » وتطارد الروم الى الاسكندرية . وفي عام ٢١ للهجرة سقطت الاسكندرية هي الأخرى وتطهرت مصر من الروم البيزنطيين . وفي نهاية هذا العام كان عمرو بن العاص قد اتخذ طريقه غربا الى ليبيا بادئا من برقة اقليمها الشرقي ، وعلى يديه تم الفتح الاسلامي الخالد .

هذا ما هو معروف مشهور ، الا أن ابن عذارى في كتابه « البيان المغرب » ينفرد بخبر يقول فيه ان عمرو ابن العاص وجه ـ قبل فتح الاسكندرية ـ وفي أثناء تلبثه في مصر ـ وجه عقبة بن نافع الفهري في حملة استطلاعية الى نواحي برقة وزويلة فافتتحهما ، وجاء عمرو بنفسه فصالح أهلها . أما ابن أبي دينار في كتابه « المؤنس في أخبار أفريقية وتونس » فيروي أن عمروا

فتح الاسكندرية ثم بعث ، الى برقة وزويلة وما جاورها من البلاد فصارت تحت ذمة الاسلام ، وسار عمرو فغزا مدينة طرابلس وفتحها •

ويستخلص الدكتور احسان عباس من هذا نتيجة عامة اتفقت عليها بقية الروايات الاخرى ، وهي أن ابن العاص نفسه هو الذي قام بفتح برقة وطرابلس وكان في جيشه عقبة بن نافع وغيره من كبار القادة الفاتحين •

كانت « البنتابولس » ــ أو المدن الخمس ، قورينا وبنغازي والمرج وطوكرة وطلميثة ــ قد صارت آنذاك مجرد مراكز صغيرة ، ولم يكن فيها ما يضطر المسلمين الى الدخول في معارك كبيرة مع الروم • وكانت لواتة ــ وبقية القبائل الليبية ــ هي التي تحكم المنطقة وتسيطر عليها ، ولذا فان الجيش الاسلامي وجد يسرا في الفتح وسهولة في نشر الاسلام • ومن المؤكد أن صلة القربى القديمة والحديثة بين العرب والليبيين كانت عاملا حاسما في قبول هؤلاء للاسلام وترحيبهم بالعهد الجديد ، ونحن لا نجد خبرا عن مقاومة ما في بداية الفتح بل نعرف أن المرج ــ وكانت العاصمة يومذاك ــ فتحت صلحا •

قيل : وقد وافق الليبيون عمرو بن العاص على أن يدفعوا جزية سنوية تقدر بثلاثة عشر ألف دينار ، وأنه كتب لهم كتابا بذلك • غير أن هذا المبلغ الزهيد يدل في جملة ما يدل على أن قسما كبيرا من الليبيين كان قد أسلم

كما يذكر ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » .

فلما استتب الامر في نواحي الجبل الاخضر وما حوله ، وأطمأن المسلمون ، سار الجيش غربا الى منطقة أجدابية ، ففتحت هي الاخرى صلحا بجزية قدرها خمسة آلاف دينار ، قال ياقوت : وقد أسلم كثير من أهل أجدابية عند الفتح .

بمزيد من الحب والود استقبل الليبيون حملة الدعوة المحمدية ، وبكثير من التعاطف والاخاء أنزلوهم أهلا وأحلوهم سهلا . ولقد استمرت الحال في برقة طيلة عهد عمرو ومن بعده عبد الله بن أبي سرح على نمط من الهدوء والاستقرار ، فكانت عونا على تقدم الاعمال الحربية في الغرب والجنوب .

قال ابن عبد الحكم في « فتوح مصر وأخبارها » : انه لم يكن يدخل برقة صاحب خراج وانما يبعث أهلها بالجزية في وقتها المضروب . وقال البلاذري في « فتوح البلدان » : ان أهلها كانوا أخصب قوم بالمغرب ولم تدخلها فتنة .

وكان لهذا الموقف تقديره الكبير عند عمرو بن العاص حتى لتذكر عنه قوله : « ما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد الا أهل انطابلس – يعني برقة – فان لهم عهدا يوفى به » .

نعم . ولقد حافظ الليبيون على العهد ، وسيظلون .

رجل من بني مدلج

حين تقود أحدكم قدماه لفسحة لطيفة في احدى عشيات الصيف على كورنيش طرابلس الجميل وتأخذه الى منطقة سيدي الشعاب ، فليتوقف عند هذا الموضع المرتفع ، وليذكر أنه في هذا المكان بالذات عسكر جيش المسلمين ، وأرتفعت نهارا صيحات التهليل والتكبير، وتجاوبت ليلا أصداء الآيات ، وزهت الارض بآثار أقدام الصحابة الاكرمين .

ترك ابن العاص حاميات صغيرة في برقة ، ومضى يضرب غربا في طريق مختصر ، وبعث ببسر بن أرطأة ليفتتح مدينة سرت ففعل . ثم وصل الجيش الى نواحي طرابلس ، وكانت هذه مدينة حصينة ، قد علت أسوارها وأقفل الروم أبوابها ، وظلوا على اتصال بالبحر تأتيهم المؤن ويصلهم الزاد . فلا هم يستطيعون خروجا لحرب ، ولا عمرو بقادر — وجيشه قليل عدده يسير عتاده — على

اقتحام الاسوار • فلم يجد خيرا من الانتظار وتحين الفرص في منطقة سيدي الشعاب يبث العيـون ، ويبعث ببعض كتائبه الى المدن القريبة فيعاهدها فتدخل في حمى الاسلام•

ظل الحال على هذا المنوال أشهرا وانقضت سنـة اثنتين وعشرين هجرية ومضى من السنة الثالثة والعشرين شهور ، وكان عمرو بن العاص لا يقدر من طرابلس علـى شيىء •

غير ان الله كان يريد بالبلاد خيرا ، وكان القدر يرتب كل شيىء ترتيبا ، فكانت الصدفة هي السبيل المـؤدي الى الفتح ، وهي التي مهدت الطريق لما كان بعد ذلك من أحداث • كان السور ــ كما ذكـرت ــ يحوط مدينـة طرابلس من الشرق والجنوب والغـرب ، وكان البحـر يحرسها من الشمال • وقد خطر لبعض رجـال الجيش الاسلامي أن يتصيدوا في المنطقة الغربية منها ، وأن يزجوا الوقت في هذا السبيل • وكانوا سبعة يقودهم رجل من بني مدلج • فلما اقتربوا من السور لاحظوا شيئا غريبا • كان البحر في حركة جزر آنذاك فانكشف جانب من المدينة كان يغمره في اثناء مـده ، ولم يكـن هناك سور • ولم ينتظر الرجال المؤمنون الشجعان بل اندفعوا ــ وهم عدد محدود ــ فدخلوا المدينة وتسللوا من ناحية كنيسة كانت هناك وفاجأوا الروم بالتهليل والتكبير وقد شهروا سيوفهم

وعملوا في من وجدوه طعنا وضربا •

كانت المفاجأة أكبر مما يحتمل الروم الخائفـون ، وظنوا أن الجيش الاسلامي قد دخل المدينة فلاذوا بالفرار الى سفنهم التي كانت راسية في الميناء حينذاك • وكـان الخبر قد بلغ ابن العـاص وجيشه في سيدي الشعـاب ، وسرعان ما خف هذا وتنادى المسلمون واحتلوا المدينـة في العام الثالث والعشرين من الهجرة •

هذا ما كان في طرابلس أما صبراتة فقد كانت ممتنعة هي الاخرى ، متحصنة بأسوارها وقلاعها وكان أهلهـا لبعدهم عن معسكر المسلمين ـ يغتنمون الفرصة نهـارا فيخرجون مواشيهم ويسرحون بها ثم يؤوبون عند المساء ويقفلون من ورائهم الابواب •

لكن ابن العاص كان أذكى وأدهى ، فما أن احتـل طرابلس حتى سير خيلا كثيرة ليلا الى صبراتة ، فوصلـت صباحا وقد فتح أهلها الابواب وكانوا غافلين • فكـان فتحها يسيرا هينا ولم يلق فيه المسلمون أي عناء •

قال ابن عبد الحكم وياقـوت وابن عذارى وابـن الأثير وغيرهم : وبهذا فتح الاقليم الغربي من ليبيـا ودخل في حوزة الاسلام ، وبقي من بعد ذلك الجنوب •

عقبة بن نافع والرجال العظام

في أثناء الفتح الاسلامي كانت أهم المراكز في اقليم فزان أربعة هي :

زويلـة وودان وجرمة وغداس •• تتبعهـا بعض الواحات والقصور المتناثرة في الصحراء •

أما زويلة فقد كانت مركزا لتجارة القوافل جنوبـا وشمالا ، وغربا وشرقا ، لـه أهميتـه القصوى • وهي تبعد بمسافة ١٥٠ كيلو مترا جنوب شرق مرزق وبمسافة ٧٧٠ كيلومترا عن طرابلس في نفس الاتجاه ، وهي كانت من اوائل ما فتحه المسلمون بعد مجيئهم الى ليبيا بقليل • وكان مـن خطة عمرو بـن العاص أن يتوغـل في الداخل ليؤمن المناطق الساحلية ، وهذا ما دفعه الى ايفاد عقبة بن نافع لتمهيد الطريق أمام مسيرة الجيش الاسلامي • فكان عقبة هو الذي فتح زويلة أول مرة واستقرت الاحوال في هذه المنطقة وما جاورها من بلاد ، حتى أن عمروا كتب

الى الخليفة يقول : «ان من بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم • قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الاغنياء فيردوها في الفقراء ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل اليه بمصر ، وان يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم •

وأما ودان فان الذي فتحها هو بسر بن أرطأة كما سبق • ثم انتقض صاحبها ، فجاءها عقبة بن نافع عام ٤٩ هـ • في اربعمائة فارس واربعمائة بعير وثمانمائة قربة، ففتحها للمرة الثانية • وكانت هذه هي المرة الثالثة التي يأتي فيها عقبة الى ليبيا ، وهي التي تم في أثنائها فتح شمال افريقية كله على يديه •

ومن بعد ودان كانت جرمة ، اذ جاءها ودعا أهلها الى الاسلام ، فأجابوا ، وأسلموا ، فلم يصبهم أذى • قال الاستاذ الطاهر الزاوي في مؤلفه «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» : ان عقبه فتح قصور فزان واحدا اثر الاخر ، كان يسأل القوم ، هل وراءكم من أحد ؟ فيجيبونه ، حتى بلغ عاصمة «كوار» ففتحها وسأل فقالوا ، لا نعلم من بعدنا أحدا • فقفل راجعا الى مركز جيشه في عنداس غربي سرت ، وقد ترك فيها عمر بن علي القرشي وزهير بن

قيس البلوي • فسار من هناك قاصدا تونس مجانبا الطريق الاعظم حتى وصل غدامس ففتحها، وكانت مسيرته العظمى الى تونس وما بعدها ، حتى وقف على ساحل المحيط الاطلسي ، تخوض أقدام جواده في المـاء وهو يقول : «والله لو أعلم من ورائك أرضا ما نزلت حتى أفتحها» !

لقد حظيت ليبيا بأن يعمل على نشر الاسلام فيها أربعة من أكبر القادة الفاتحين : عمرو بن العاص السياسي الداهية والعسكري العظيم • وابن خالته عقبة بن نافع ، باني القيروان ومثبت أركـان الاسلام في ليبيا وشمـال أفريقيا ، والمجاهد التقي الشجاع زهير بن قيس البلوي ، وكان استشهاده عند درنة في موقعة بينه وبين الروم • ثم الشيخ الامين حسان بن النعمان المنظم الاداري الممتـاز والرجل العادل الذي أشرك أهـل البلاد في الفتوحات والارض ، وهو من أسلم على يديه جل الليبيين • على يد هؤلاء الأفذاذ الأربعة ، ومن بعدهم من الرجال ، أصبحت ليبيا مركز التقدم الاسلامي في شمال افريقيا غربا ونحـو الصحراء جنوبا ، ولعبت أعظم الادوار على طول الازمنة والعصور •

١ ــ المراجع العربية

اعتمد المؤلف بالنسبة للمراجع العربية على الكتب التالية :

- القانون في الطب ، للرئيس ابن سينا
- المسالك والممالك ــ لا بن خرداذبة
- الصبر ــ لابن خلدون .
- معجم البلدان ــ لياقوت الحموي .
- الفهرست ــ لابن النديم .
- فتوح البلدان ــ للبلاذري
- الجامع لمفردات الادوية والاغذية ــ لابن البيطار .
- اخبار العلماء بأخبار الحكماء ــ للقفطي .
- كتب العهد القديم والعهد الجديد .
- ابطال الارجو ــ لابو لونيوس الرودسي ، ترجمة أمين سلامة .
- دراسات في التاريخ اللوبي ــ لمصطفى عبد الله بعيو .
- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ــ للطاهر الزاوي .
- دراسات في التاريخ الليبي القديم ــ للدكتور مصطفى عبد العليم .
- تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي ــ للدكتور احسان عباس
- نصوص ليبية ــ للمؤلف .

٢ ـ المراجع الاجنبية

وفيما يلي ثبت بالمراجع الاجنبية التي ورد ذكرها قد يحب القارىء أن يرجع اليها لمزيد من التفاصيل :

1. Apouleus; Apologia, (Int. & Comm. by H. E. Butler and A.S. Owen) Germany, 1967.
2. Aristotle; Historia Animalium. (tr. D.W. Thompson), Oxford 1949.
3. Atkins, J.W.H.; Literary Criticism in Antiquity London 1952.
4. Athenaeus; Deipnosophistae. Loeb Classical Library, 1929.
5. Bacon, Edward! Digging for History. London 1960.
6. Baldry, H.C.; The Greek Literature for the modern reader. Cambridge, 1951.
7. Bates, Oric; The Eastern Libyans, Macmillan, London, 1914.
8. Beard, Mary R.; Waman as force in history. Colliers Books, N.Y. 1962.
9. Boahen, A.; Britain in the Sahara and western Sudan. London, 1954.
10. Boak, Arther, F.R.; A history of Rome to 505 a.d. Macmillan, N.Y. 1962.
11. Bonnard, André; Greek Civilization (from Euripides to Alexandria). London, 1962.

12. Breastead, James Henry; A history of Egypt, London, 1959.
13. Briggs, Lloyd Cabot; Tribes of the Sahara. London 1960.
14. Burn, A.R.; The Lyric Age of Greece, Edward Arnold, London, 1960
15. Burn, R.R.; Persia and the Greeks. London, 1962.
16. Burry, J.B.; A history of Greece to the death of Alexander the Great. N.Y. 1963.
17. Callimachus of Cyrene; Aetia, Iambic, Hecale and other frogments. (tr. C.A. trypnis.) Loeb, Britain, 1958.
18. Callimachus of Cyrene; Hymns and Epigrams. (tr. A.W. Mair.) Loeb, Britain, 1960.
19. Cottrell, Leonard; The Anvils of Civilization, London, 1953.
20. Diodorus Siculus; Historical Library. (tr. C.H. Oldfather.) Loeb, Britain, 1953.
21. Dio; Roman History. (tr. Earnest Cary.) Loeb, Britain, 1955.
22. Duff, J. Wight; A literary history of Rome in the silver age. London 1960.
23. Encyclopedia Britanica; aricles: Eratosthenes, Gezer, Fable and others, several editions.
24. Ehrenberg, Victor; Ancient Society and Institutions. N.Y. 1958.
25. Frank; A history of Rome. N.Y. 1960.
26. Frend, W.H.C.; The Donatist Church. Oxford, 1952.

27. Gardiner, Sir Alan; Egypt of Pharahs, Oxford 1961.
28. Gemell, Chalmers L.; Silphium, Bulletion of the history of medicine, No. 4, July-August 1966.
29. Gibbon, Edward; Decline and fall of the Roman Empire. Several editions.
30. Green, V.I.; Literary Criticism in Antiquity. London, 1950.
31. Guerber, H.A.; The myths of Greece and Rome London 1927.
32. Hades, Moses; Hellenistic Culture, Fusion and Diffusion, N.Y. 1963.
33. Harrison, Jane; Mythology. Cooper, N.Y. 1963.
34. Hayens, D.E.L.; An Archaeological and Historical Guide to the pre-Islamic Antiquity of Tripolitania. London, 1959.
35. Herodotus; History. (tr. A.D. Godley.) Loeb, Britain, 1953.
36. Higham, T.F.; The Oxford book of Greek Verse in translation, oxford, 1950.
37. Hogarth, D.G.; The Ancient East. Oxford 1945.
38. Homer; The Odyssy. (tr. A.T. Murray.) Loeb, Britain, 1953.
39. Hono, Leon; Roman Political Institutions from city to State. London, 1962.
40. Hull, L.W.H.; History of Philosophy and Science Longmans, London, 1948.
41. Jusephus; Jewish War. (tr. G.A. Williamson) N.Y. 1950.
42. Kaj Birket, Smith; The Paths of Culture. Wiskouns Uni. 1905.

43. Kees, Hermann; Ancient Egypt. Faber and Faber, London, 1961.
44. Kephart, Calvin; Races of Mankind, their origion and migration. N.Y. 1960.
45. Laertus, Diogenes; Lives of eniment philosophers. (tr. R.D. Hicks) Loeb, Britain, 1966.
46. Larousse, Encyclopaedia of; London 1965.
47. Lhote, Henri; The Search of the tassili Frescoes (tr. Alan Houghton Broadrick) London, 1960.
48. Livingstone, R.W.; The Leacy of Greece. Articles: Mathematics and Astronomy, by Sir T.L. Heathe, 16th edition, oxford.
49. Lucian of Somorata; Poetry and Prose. (tr. A.M. Hermann.) Loeb, Britain, 1928.
50. Macdonald, Sir George; The Roman Wall in Scotland, 2end edition, Oxford, 1934.
51. Manetho; The history of Egypt, (tr. W. G. Waddell.) Aberden, Br., 1956.
52. Martial; Epigrams. (tr. Walter C.A. ker.) Loeb, 1950.
53. McBurney, C.B.M.; The Stone Age of the Northen Africa. Pelican Books, 1960.
54. Pacho, J.R.; Voyages dans la Marmarique, la Cyremaique et l'oasis d'Audjilah et de Maradeh. Paris, 1827.
55. Pausanias; Discribtion of Greece. (tr. W. H. Jones and H.A. Ormond.) Loeb, 1953.
56. Pindar; The Odes. (tr. Sir John Sandys.). Loeb 1961.
57. Plato; The Dialogues. (tr. B. Jowett.) Oxford, 1954.

58. Phinius Secundus; Natural History. (tr. H. Pacham.) Loeb, 1958.
59. Plutarch; Mulierum Virtutes. (tr. B. Perrin.) Loeb, 1914-26.
60. Plutarch; Moralia. (tr. F.C. Babbitt.) Loeb, 1937
61. Procopius of Caesarea; Book of Buildings, and Book of Wars, (tr. H.B. Dewing & C. Downey.) Loeb, 1954.
62. Rodd, Lord Rannell of; People of the Veil, 2nd. edition, 1966.
63. Rosenthal, M.L.; Exploring Poetry. Macmillan, N.Y. 1962.
64. Schobel, Heinz; The Ancient Olympic. London, 1964.
65. Stadter, Philip A.; Plutarch's historical methods. Harvard Uni. 1965.
66. Strabo; Geography. (tr. H. Leonard Jones.) Loeb, 1949.
67. Tennyson, Alfred; The Poetical Work of, Oxford, 1954.
68. Thompson, L.A.; Roman and native in the Tripolitanian cities in the early Empire. An article read at the historical conference «Libya in history», Benghazi, 1968.
69. Thucydides; History, (tr. C.F. Smith.) Loeb, 1957.
70. Torn, Sir William; Hellenistic Civilization. London, 1959.
71. Tozer, H.F.; A history of Ancient Geography, N.Y. 1964.
72. Voegilin, Eric; Israel and Revelation Luisiana Uni. U.S.A. 1956.

73. Warmington, B.H.; The North African Provinces from Devolution to the Vandal conquest. Cambridge, 1954.
74. Warrington, John; Everyman's Classical Dictionary. London, 1961.
75. Webster, T.B.L.; Hellenistic Poetry and Art. London, 1964.
76. Wheeler, Sir Mortiner; Rome beyond the Imperical Frontiers.
Pelican Books, London, 1954.
77. Xenophon; Memorabilia, (tr. E. C. Marchant.) Loeb, 1965.

فهرست

قائمة منشورات

دار مكتبة الفكر

طرابلس – ليبيا

١ – نصوص ليبية . من هيرودوتس – بليني الاكبر – ديودوروس الصقلي – بروكوبيوس القيصري .
ترجمة الاستاذ علي فهمي خشيم .

٢ – النزعة العقلية في تفكير المعتزلة – **تأليف الاستاذ علي فهمي خشيم .**

٣ – حسناء قورينا – **تأليف بلاوتوس – ترجمة الاستاذ علي فهمي خشيم**

٤ – الجبائيان أبو علي وأبو هاشم – **تأليف الاستاذ علي فهمي خشيم .**

٥ – قراءات ليبية – **تأليف الاستنا. علي فهمي خشيم .**

٦ – اخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس الى برقة سنة ١٨١٧ – **تأليف الدكتور باولو شيشلا ترجمة الدكتور الهادي مصطفى أبو لقمة .**

٧ – مدينة بنغازي عبر التاريخ – باللغة الانجليزية – **تأليف الدكتور الهادي مصطفى أبو لقمة .**

٨ – دراسات ليبية – **تأليف الدكتور الهادي مصطفى ابو لقمة**

٩ ـ فلسطين وحق تقرير المصير ـ **تأليف صلاح الدين حسن أبو حميرة .**

١٠ ـ قصة انتشاف ليبيا في العصر الحديث ـ **تأليف الاستاذ نجم الدين غالب الكيب .**

١١ ـ دراسات في الادب الحديث ـ **تأليف الاستاذ بشير الهاشمي .**

١٢ ـ لكل مواطن ـ **تأليف الاستاذ عبد الكريم الدناع**

١٣ ـ الواح الصفيح (شعر) ـ **تأليف الاستاذ لطفي عبد اللطيف**

١٤ ـ الخريف لم يزل (شعر) ـ **تأليف الاستاذ لطفي عبد اللطيف**

١٥ ـ عشيات وادي غدو ـ الطبعة الثانية ـ **تأليف الاستاذ محمد سعيد القشاط**

١٦ ـ مفهوم الارباح في الاقتصاد التعاوني **تأليف الاستاذ نوري عبد السلام بريون**

١٧ ـ دموع الناي (شعر) **للشاعرة هيام الدردنجي**

١٨ ـ دراسات في الواقع الليبي **تأليف الاستاذ جميل هلال**

١٩ ـ عقيلة (ديوان شعر) ـ **للزجال الشعبي علي الزرقاني**

٢٠ ـ ربيع البادية (شعر) ـ **للشاعر مصطفى كمال سلام**

٢١ ـ قضايا مسرحية ـ **تأليف الاستاذ عبد الحميد المجراب**

٢٢ ـ عمر المختار البطل الخالد ـ **تأليف الاستاذ محمود شلبي**

٢٣ ـ محاضرات جمعية الفكر الليبية (مجموعة محاضرات لخيرة المفكرين والمثقفين الليبيين وغيرهم)

٢٤ ـ بين قلبين ـ **تأليف محمد عبد الكافي**

٢٥ ـ دراسات في الادب الشعبي في ليبيا ـ **تأليف الاستاذ محمد سعيد القشاط**

٢٦ ـ المغرب العربي في القرن التاسع عشر . طرابلس ـ لبدة ـ القيروان سنة ١٨٧٧
تأليف ادوارد راي ترجمة مصطفى محمد جودة
راجعه وحقق وقائعه المؤرخ الكبير
الاستاذ عثمان الكعاك .

هذا الكتاب

هذه أحاديث عن ليبيا ، عن الارض التي حملتنا منذ القدم ، وحملت معنا آلامنا وآمالنـــا . عن الرمال التي ارتوت بدماء الآباء ، والجبال التي اختلطت بذرات الأجداد . عـن السهول التي عاصرت العصور ومشت فـوقها ملايين الأقدام ، لكنها ظلت هي هي ليبيـــة تشدنا اليها بماضيها الممعن في القـدم ، وحاضرها المزدهر ومستقبلها المتألق الساطع ..

فان سأل سائل : لماذا كانت « قراءات ليبية » ولم تكن شيئاً آخر غيرها ؟ قلت : انها قراءات صارت أحاديث ضمن هذا الإطار لاسواه . هي في تاريخ بلادنا وغابرها اكثر ما تكون ، وفي جغرافيتها ومجتمعها وقبائلها وعاداتها وعجائب اخبارها في ادبها وتفكيرها وعلمائها ورجالاتها ، في مدنها وصحراواتها وغريب مخلوقاتها واساطيرها واعلامها ، بقدر ما يتيسر السبيل وتتضح المعالم ..